ISSN Online: 2709-7625
ISSN Print: 2709-7617
Vol.6 No.4, 2023

خصائص مدرستی أهل الحدیث وأهل الرأی
بحث تکمیلی لمادة تاریخ الفقه

Dr. Hafiz Hamid Ali Awan
Assistant Professor,
Department of Islamic Studies,
Bahauddin Zakariya University, Multan
hafizhamidali@gmail.com
Madiha Mumtaz
Ph.D scholar
Islamic studies
Bahaud Din Zakariya University, Multan
Email: madihahamid69@gmail.com

Abstract:
In this paper, the establishment of the first two educational centers of Islam, the inference and extraction of Islamic problems have been reviewed. During the blessed life of the Holy Prophet, the Companions used to approach him directly.
After the departure of the Holy Prophet, the Companions assumed this position of Jalila and guided the Ummah. From the time of the Companions, Madinah had the honor of being the center of the Islamic world. Muslims from all over the world used to benefit from Madinah's school of learning in religious matters.
Along with this, Hazrat Abdullah bin Masoud's circle of teaching in Iraq was unparalleled and Hazrat Abdullah bin Umar used to lead the Ummah in religious matters in Madinah. Hazrat Ibn Umar (RA) was strictly committed to the sayings and Sunnah of the Holy Prophet (PBUH) and did not like personal opinions at all compared to the sayings and Sunnah.
While Hazrat Ibn Masood tried to understand the intention and will of the Holy Prophet in the sayings of the Prophet. So, on the basis of the difference in the way of thinking, Abdullah bin Umar and his disciples came to be called Ahl al-Hadith, and Ibn Mas'ud and his like-minded Companions of the Tabieen came to be called Ahl Ray. In this article, the ideas, thinking and reasoning of these two parties have been studied and analyzed, and it is certain that there was no difference between them regarding haram and halal, but generally there was a difference between the first and non-first.
And both academic centers adopted this way of thinking based on regional necessity and both Islamic centers considered the four principles of Islam (Qur'an, Sunnah, Ijmaa and Qiyas) as the basis and from these two centers, the famous four jurists of the Islamic world, Imam Abu Hanifa, Imam Malik, Imam Shafi'i and Imam Ahmad bin Hanbal were represented.
In this way, in this article, the priorities of thought of Ahl Rai and their way of thinking and manners for the world of Islam have been described as more beneficial.
The early and ancient knowledge centers of Islam are known by many names among the advanced jurists.
This paper also includes the description of the names by which these schools of thought were called in different eras. The way of thinking of the Companions of Opinion and Ahl al-Hadith has been supported by various Qur'anic verses and blessed hadiths.
This article has proved the importance of both centers, their academic services and their efforts as primary sources in Islamic archives.

الحمد لله حمدا دائما مع دوامه وحمدا خالدا مع خلوده وحمدا لا منتهى له دون مشيته وحمدا لا يريد قائله إلا رضاه وحمدا عند كلّ طرفة عين وتنفّس كل نفس وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له مانح الخيرات والنعم وأشهد أن سيدنا ومندنا محمدا عبد الله ورسوله خير من اصطفي وبعثه إلى جميع الأمم صلوات الله وسلامه عليه بعدد كل الموجودات بقطرات الأمطار ومثاقيل الجبال ومكاييل البحار وذرّات التراب وورقات الأشجار وعدد الليالي والنهار وكلمات الإنس والجان ومنطق كل ذي الشعور والحياة صلواة تسبق الغايات. عليه وعلى آله الأطهار وصحابته الخيار الذين فقهوا هذا الدين وعرفوا أسرار الشرع المتين رضي الله عنهم وأجزل لهم الأجر والغفران وجعلنا من

ISSN Online: 2709-7625
ISSN Print: 2709-7617
Vol.6 No.4, 2023

الذين اتبعوهم بإحسان وبعد: فإن الله سبحانه وتعالى أوجب على المسلمين الإعتصام بحبل الله المتين والتمسك بكتابه الحميد والالتزام بسنة نبيه الحبيب صلى الله عليه وسلم، ومن معين كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم استقى الصحابة أصول مذاهبهم حتى أصبحت أقوالهم مرجعا للفقهاء ومستند اللعلماء وتخرج عليهم تلاميذهم وسموا التابعين بتسمية القران إذ قال سبحانه وتعالى والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار واللذين اتبعوهم بإحسان فهي تسمية الله لهم وذلك شرف ليس فوقه شرف ولقد جاء التابعون فوجدوا ثروة من الرواية وثروة من الاجتهاد الفقهي، فكان لهم عملان:

أولهما جمع هاتين الثروتين فجمعوا المروي من أحاديث رسول الله صلى الله وسلم وجمعوا أقوال الصحابة واجتهادهم

وثانيهما أن يجتهدوا فيما لم يعرف عن الصحابة رأي فيه وليس فيه نص من قرآن ولا سنة فكان لهم اجتهاد وراء ما ينقلون من أحاديث وفتاوى وأنهم في اجتهادهم وإعمال الرأي في الوقائع التي لا نص فيها ولا أثر سلكوا على منهج أساتذتهم من الصحابة كعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عمر وانقسموا إلى اتجاهين:

الأول: مدرسة الحديث، والثاني: مدرسة الفقه. فعبد الله بن عمر كان أستاذ لمدرسة أصحاب الحديث في المدينة المنورة ومؤسس هذه المدرسة وعنده كثرة الأحاديث التي حفظها عن رسول الله صلي الله عليه وكان شديد الاحتياط والتوقي لدينه في الفتوى، ولم يقل برأيه في الدين شيئا لذلك كثير ما يردّ الناس بقوله: لا أدري وتأثر بمنهجه جلّة من العلماء التابعين الذين حملوا راية لهذه المدرسة أشهرهم الفقهاء السبعة رئيسهم سعيد بن المسيب لسان فقهاء الحديث وانتهت رياسة مدرسة الحديث إلى إمام دار الهجرة إمام في الفقه والحديث مالك بن انس فعلماء هذه المدرسة يقفون عند النصوص والآثار ولا يستخدمون الرأي والقياس إلا عند الضرورة القصوى ومدرسة المدينة كان لها فضل السبق إلي تدوين السنة وقد بزل علماء الحديث قصارى جهدهم في سبيل جمع الحديث وتمييز الغث من السمين فجمعوا السنة ودونوها وجمعوا مع السنة آثار فقهاء كل بلد من الصحابة والتابعين ووضعوا القواعد والضوابط التي يحكم علي عدالة الرجال وبذلك دوّن فن مصطلح الحديث والجرح والتعديل وعبد الله بن مسعود كان شيخ مدرسة الرأي والفقه في العراق وبانيها وكان من الفقهاء السبعة المكثرين بالفتوى من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وأنفذهم بصيرة في فهم النص وإبداء الرأي فيه فكان يجتهد في المسائل حيث لا نص فيها وتأثر بمنهجه تلاميذه من التابعين وكان أنبلهم علقمة بن قيس وارث علم ابن مسعود ورئيس فقهاء مدرسة العراق وبعده يزعم لهذه المدرسة فقيه المعي لسان علماء العراق إبراهيم النخعي حتى تنتهي زعامة المدرسة الى فقيه الأئمة الإمام أبي حنيفة فأصحاب هذه المدرسة يرون أن أحكام الشرع معقولة المعنى، مشتملة على مصالح, راجعة إلى الأئمة، وأنها بُنيت على أصول محكمة, وعلل ضابطة لتلك الحكم فُهِمت من الكتاب والسنة، وشرعت الأحكام لأجلها لينتظم بها أمر الحياة، فكانوا يجتهدون في معرفتها ليدير الحكم لأجلها حيث درات فإن الشريعة الإسلامية هي خاتمة الشرائع التي تحمل الهداية الإلهية للناس كافة وقد خصها الله سبحانه وتعالى بالعموم والخلود والشمول فهي رحمة للعالمين من كل الأجناس وفي مختلف البيئات والأعراف وجميع الأعصار إلي أن تقوم الساعة لأن الله سبحانه وتعالى أودع فيها من الأصول والأحكام ما يجعلها قادرة على الوفاء بحاجات الإنسانية المتجددة على امتداد الزمان واتساع المكان وتطور الإنسان وشرع الله سبحانه وتعالى لعلماء هذه الأئمة من حق الاجتهاد فيما ليس فيه دليل قطعي من الأحكام بأن يكون فيه دليل ظني في ثبوته أو دلالته أو فيهما معا أو ما ليس فيه دليل ولا نص فهو المجال الرحب للإعمال الرأي والقياس فكان لهذه المدرسة فضل في تكوين الفقه وتوسع أفاقه بما بحثت وتعدت من قواعد فكونوا الفقه وخرجوا عليه أحكام الحوادث التي حدثت لهم وطرقوا الكثير من أبواب الفقه: العبادات والمعاملات والنكاح والطلاق والعتاق وما عدا ذلك فتجمعت لهم مسائل فقهية في كل باب

وموضوعي للبحث (خصائص مدرستي أهل الحديث وأهل الراي) فهو يتعلق بأهمّ باب من أبواب الفقه ألا وهو علم تاريخ الفقه ولا يتصدّى لهذا العلم إلا من اتصف بصفات معينة تؤهله لأن يخوض غماره فالحاجة إليه لا تنقطع وفوائده لا تنتهي، ومن خلال اطلاعي على جهد الباحثين والعلماء السابقين في ميادين تاريخ الفقه فقد رأيت إنهم لم يدخروا جهداً في خدمة هذا العلم ومجالاته وانتشاره وأن ما نقدمه غيض من فيض لعله ينفعنا وطلبة العلم، فإن وفقت فذلك فضل الله علي، وإن قصّرت فمني ومن الشيطان.

وأخيرا أقدم الشكر الجزيل إلى الأستاذين الفاضلين: فضيلة الأستاذ الدكتور محمد نبيل غنائم، وفضيلة الأستاذ الدكتور عبد المجيد محمود عبد المجيد. لتوجيههما وترشيدهما إلى هذا الموضوع القيم فجزاهما الله خير الجزاء

. ومن هنا كان أهمية اختياري لهذا الموضوع.

المبحث الأول في خصائص مدرسة أهل الحديث: وفيه ستة مطالب

ISSN Online: 2709-7625
ISSN Print: 2709-7617
Vol.6 No.4, 2023

المطلب الأول: في بيان معاني اللغوية والاصطلاحية لكل من الألفاظ: الخصائص, المدرسة, الحديث, الرأي

المطلب الثاني في تعريف مدرسة المدينة ومكانتها

المطلب الثالث في روّاد مدرسة المدينة وتطوّرها

المطلب الرابع: تطور مدرسة المدينة والشخصية للإمام مالك فيها

المطلب الخامس: منهج مدرسة الحجاز وخصائصها

المطلب السادس: في مميّزات هذه المدرسة

المبحث الثاني في خصائص مدرسة أهل الرأي وفيه ستة مطالب

المطلب الأول في التعريف لمدرسة العراق ومكانتها

المطلب الثاني في فقه هذه المدرسة ومصادرها

المطلب الثالث تلاميذ عبد الله بن مسعود وروّاد مدرسة الكوفة

المطلب الرابع في أسباب استخدام الرأي في مدرسة العراق

المطلب الخامس في مميزات مدرسة العراق

المطلب السادس في مظاهر الاتفاق والاختلاف بين المدرستين

الخاتمة: وفيها من أهم النتائج والتوصيات التي توصّل إليها البحث

المبحث الأول خصائص مدرستي أهل الحديث وأهل الرأي

وفيه ستة مطالب

المطلب الأول: في بيان معاني اللغوية والإصطلاحية لكل من الألفاظ: الخصائص, المدرسة, الحديث, الرأي.

الفرع الأول: الخصائص: قال صاحب لسان العرب: خصّه بالشئ يخصه خصّا وخصوصا وخصوصية وخصوصية والفتح أفصح وخصيصي وخصصه واختصه أفرده به دون غيره. ويقال : إختصّ فلان بالأمر وتخصص له إذا انفرد (1)وقال معجم الوسيط :خص الشئ خصوصا نقيض عمّ..... الخصيصة :الصفة التي تميز الشئ وتحدده(ج)الخصائص(2)فخصائص جمع الخصيصة والخصيصة هي المميزة اوالصفة التي تحدد الشئ من الشئ وتفضله علي الأخر والخصائص يعني المميزات

ألفرع الثاني: المدرسة إشتقاقها ومفهومها:

(ألف) إشتقاق المدرسة:

1لسان العرب/109/4
(2)معجم الوسيط/23

ISSN Online: 2709-7625
ISSN Print: 2709-7617
Vol.6 No.4, 2023

درس الكتاب يدرسه درسا ودراسة ودارسه من ذلك كأنّه عاندہ حتي إنقاد لحفظه

وقد قرئ بهما: وليقولوا درست، وليقولوا دارست وقيل درست: قرأت كتب اهل الكتاب، ودارست: ذاكرتهم وقرئ درست ودرست: اي هذه اخبار قد عفت ومحت ودرست بالضم اشد مبالغة..... وقرئ وليقولوا درست بالمجهول اى قرئت وتليت وقرئ درست اى تقادمت اي هذ الذي تتلوه علينا قد تطاول ومرّ بنا ودرست الكتاب ادرسه درسا اي ذللته بكثرة القرأة حتي خف حفظه علي([3])

وذكر القرطبي رحمه الله في هذه الآية: وليقولوا درست سبع قراآتهم قال وهذه القراءات كلها يرجع إشتقاقها الي شئ واحد الي التليين والتذليل ودرست من درس يدرس دراسة وهي القراءة علي الغير،...

ودارست الكتاب وتدارستها وأدرستها، اي درستها ودرست الكتاب درسا ودراسة([4]) وكلمة المدرسة أشتقت من مادّة درس يدرس ومعناها المكان الذي تتم فيه معرفة القراة والكتابة ومدارسة الكتب وتذليلها بالفهم والحفظ والتليين والتذليل فجميع هذه المعاني ملحوظة في كلمة المدرسة

(ب) مفهوم المدرسة:

:المدرسة لها مفهومان: الأول دور العلم واماكن تجمع طلابه يعني المؤسسات العلمية التي يتلقي بها المرء العلوم المختلفة. الثاني: هو المذهب الفكري لإمام معين، كقولنا، مدرسة إبن عباس في التفسير، اومدرسة ابي حنيفة في القياس. اوجماعة من الفقهاء كقولنا مدرسة الحجاز في الفتوي والتشريع([5])

يقول الاستاذ محمد نبيل غنائم: "وللمدرسة بهذ المعني مفهومان: احدهما، ويقصد به المؤسسات العلمية والأمكنة التي يتلقي بها المرء العلوم المختلفة. والثاني المذهب الفكري لشخص او جماعة، كقولنا مثلا مدرسة ابي حنيفة في القياس، أو مدرسة البصرة والكوفة او لقطر معين كقولنا مدرسة الحجاز في الفتوي والتشريع، وقد تطلق علي امة من الأمم كقولنا المدرسة اليونانية اوالرومانية"([6])

وفي بحثنا هذا يستخدم المدرسة بالمعني الثاني يعني المذهب الفكري لإمام معين اوجماعة من العلماء لأن مدرسة اهل الحديث او مدرسة اهل الرأي المقصود منه هي تلك الطرق اوالإتجاهات التي سلكها فقهاء الحديث والرأي واختاروا هالإستنباط الأحكام معتمدين علي السنة اوالرأي قلة وكثرة لا المقصود منها الأماكن التي يتدارس فيها العلوم المختلفة.([7])

يقول د مذكور "لا نقصد بالمدارس دور العلم واماكن تجمع طلابه ولكنا نقصد الإتجاه او الطريقة التي يسلكها كل فقيه ويعرف بها فيأخذها عنه غيره ويتجمع حولها بعض الفقهاء والمشتغلين بالفقه ويجعلونها اساسا في منهاجهم الفقهي وإجتهادهم"([8])

ألفرع الثالث الحديث لغة وشرعا:

يقول إبن منظور الحديث: الجديد من الأشياء، والخبر يأتي علي القليل والكثير والجمع احاديث.... وقوله تعالي إن لم يؤمنوا بهذ الحديث أسفا عني بالحديث القران([9])

والحديث شرعا:

هوماروي عن النبي صلي الله عليه وسلم من قول او فعل او تقرير اوصفة خلقية اوخلقية، اوسيرة([10])

ألفرع الرابع: الرأي لغة وشرعا:

---

[3] لسان العرب /329/4
[4] تفسير القرطبي/8/ 489
[5] المدخل إلي الشريعة والفقه الإسلامي/187 ايضا مدارس مصر الفقهية في القرن الثالث/ 48
[6] مدارس مصر الفقهية في القرن الثالث/ 48
[7] المدخل لدراسة الفقه الإسلامي للشرنباصي/ 74
[8] المدخل للفقه الإسلامي مدكور/116
[9] لسان العرب / 75/3
[10] شرح نخبة الفكر شرحه أل حميد /10

ISSN Online: 2709-7625
ISSN Print: 2709-7617
Vol.6 No.4, 2023

قال إبن فارس: الراء والهمزة والياء اصل يدل علي نظر وابصار بعين او بصيرة، فالرأي مايراه الإنسان في الأمر وجمعه الراء رأي فلان الشئ([11])

الرأي شرعا:

هو العلم بالشئ علي سبيل الظن وعند الفقهاء النظر والخوض وإعمال الفكر في الوقائع التي لم يرد بها نص من القرآن والسنة وإستنباط الأحكام من معاني النصوص والقواعد الشرعية وكثيرا ما إستعمل الصحابة كلمة الرأي في إجتهاداتهم التي ظهر انها مبنية علي إعتبار المصلحة او قائمة علي اساس من القياس او الإستحسان ونحوها([12])

تقول دكتورة فاطمة السيد السباك: أن الرأي "الفهم والعلم والمعرفة وإستنباط الأحكام من معاني النصوص والقياس علي الأصول وحمل الفروع علي الاصول([13])

المطلب الثاني في مدرسة المدينة:

الفرع الأول: التعريف لمدرسة المدينة:

لها أسماء عديدة: مدرسة المدينة، مدرسة الحجاز، مدرسة أهل الحديث، مدرسة الفقهاء السبعة، مدرسة حزب السنة والأثر، مدرسة المحدثين([14]) ولكن التعبير بمدرسة الحجاز او إطلاق مدرسة اهل الحجاز علي فقهاء المدينة ادق تعبيرا واصدق تأريخا وارحب عبارة وانسب بالمنهج العلمي من ان يطلق عليها اهل الحديث لأن الإختلاف بين المدرستين لم يكن في مصادر التشريع ويوضح هذه الفكرة الأستاذ عبد المجيد محمود فيقول "وإطلاق مدرسة المدينة ومدرسة الكوفة او بعبارة ارحب: مدرسة الحجاز ومدرسة العراق، علي هاتين الطائفتين المتميزتين في عصر التابعين اصدق تأريخا، وادق تعبيرا واولي بالمنهج العلمي من ان يطلق عليهما اهل الحديث واهل الرأي لأن الإختلاف بينهما لم يكن في مصادر التشريع او المنهج بقدر ماكان إختلافا في التلقين، وتنوعا في الأساتذة وتباينا في البيئة والعرف ولذا لم تعرف هذه العبارة في عصر التابعين"([15])

الفرع الثاني: مكانة مدرسة المدينة:

المدينة لها منزلة خاصّة بإعتبارها دار الهجرة وموطن سيدنا حبيب المصطفي صلي الله عليه وسلم ومنبع التشريع وفيها سن الرسول صلي الله عليه وسلم سنن الإسلام وشرائعه وتكونت فيها أمته وطريقته وهي مقر الدولة الإسلامية وعاصمة الخلافة الراشدة بعد إنتشار الإسلام عاش فيها صحابته من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوه بإحسان وبعد إنتقال عاصمة الخلافة منها بقيت لها الرئاسة العلمية والزعامة الدينية وصارت في عصر الصحابة والتابعين وتابعيهم المركز الرئيسي والمحور الحقيقي للحركات العلمية وإنتشار الشريعة الإسلامية واصبحت مهد السنة، ماوي الفقهاء، ملتقي الصحابة ومجمع العلماء لكثير رحلات طلاب العلم وفقهاء الشريعة فمدينة الرسول صلي الله عليه وسلم كانت تحظي بمنزلة رفيعة بين امصار الإسلامية.([16])

قال ابو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: يوشك أن يضرب الناس آكباد الإبل في طلب العلم فلايجدون عالما اعلم من عالم المدينة([17]) وهذ الحديث يدل علي فضل اهل المدينة وفقههم وانهم اهل السبق والفضل في العلم والفقه وفسر العلماء ان المراد بعالم المدينة في الحديث هو الإمام مالك بن انس رحمه الله يقول الإمام مالك رحمه الله في ثبت علم اهل المدينة وثقه الناس بعلمهم "لولا ان عمر بن عبد العزيز أخذ هذا العلم بالمدينة لشككه كثير من الناس وكان عمر ابن عبد العزيز يكتب الي الأمصار يعلمهم السنن والفقه ويكتب الي المدينة يسألهم عما قضي([18])

ويذكر شيخ الإسلام إبن تيمية " أن سائر امصار المسلمين كانوا منقادين لعلم اهل المدينة، ولا يعدون انفسهم اكفائهم في العلم، كأهل الشام ومصر، مثل الأوزاعي ومن قبله ومن بعده من الشاميين، ومثل الليث بن سعد، ومن قبله ومن بعده من المصريين و تعظيمهم لعمل اهل المدينة، واتباعهم لمذاهبهم القديمة ظاهرين وكذلك

---

[11] مقاييس اللغة/86/5
[12] المدخل إلي الشريعة والفقه الإسلامي/194
[13] الشريعة والتشريع/ 84
[14] الفقه الإسلامي مرونته وتطوره/47.سبع مسائل فى علم الفقه 76/1
[15] الإتجاهات الفقهية عند اصحاب الحديث في القرن الثالث / 33
[16] المدخل إلي الشريعة والفقه الإسلامي/ 189 ايضا الشريعة والتشريع/78
[17] إبن عبد البر، المسانيد /184
[18] ترتيب المدارك وتقريب المسالك/ 39/1

ISSN Online: 2709-7625
ISSN Print: 2709-7617
Vol.6 No.4, 2023

علماء اهل البصرة، كايوب وحماد بن زيد، وعبد الرحمان بن مهدي وامثالهم.....وفي مذهب اهل المدينة في زمن الصحابة والتابعين ابن تيمية يقول "اصح مذاهب اهل المدائن الإسلامية شر قاوغربا في الأصول والفروع.[19]

وفي موضع آخر يقول إبن تيمية "في القرون التي اثنى عليها الرسول صلي الله عليه وسلم كان مذهب اهل المدينة اصح مذاهب اهل المدائن، فإنهم كانوا يتأسون بأثر رسول الله صلي الله عليه وسلم اكثر من سائر الأمصار وكان غيرهم من اهل الأمصار دونهم في العلم بالسنة النبوية واتباعها ولهذا لم يذهب احد من علماء الإسلام إلي ان اجماع اهل مدينة من مدائن حجة غير المدينة[20]

المطلب الثالث في رواد مدرسة المدينة وتطوّرها:

مدرسة المدينة تاثرت بصحابة رسول الله صلي الله عليه وسلم وكان علي رأسهم زيد ابن ثابت وعبد الله ابن عمر وسيدة عائشة ام المؤمنين وعبد الله ابن عباس الذي انتقل فيما بعد الي الكوفة في خلافة امير المؤمنين علي ابن طالب ولكن اكثر من تاثرت به مدرسة المدينة هو سيدنا عبد الله ابن عمر وعائشة ام المؤمنين

الفرع الأول: تأثير عبد الله ابن عمر علي مدرسة المدينة

فعبد الله ابن عمر يلعب دورا بارزا في تكوين مدرسة المدينة ولقد كان تاثيره علي هذه المدرسة اكبر من سائر الصحابة فقد عاش الي فترة توفي فيها جميع الصحابة ولم يجد التابعون من يقتبسهم ويفقههم في الدين سواه وهذا الصحابي الجليل قد اشتهر بين الصحابة في حرصه الشديد علي تتبع آثار الرسول الكريم صلي الله عليه وسلم والتمسك بسنة المطهرة نضف الي ذلك كثرة الأحاديث التي يحفظها عن رسول الله صلي الله عليه وسلم ورغم ات-باعه الشديد بالرسول صلي الله عليه وسلم ومحافظه عنه من احاديث الا انه كان شديد الإحتياط لدينه في الفتوي لذلك كثيرا ما يرد الناس بقوله لا ادري.

قال الشعبي فيه: كان جيد الحديث، ولم يكن جيد الفقه.

وقال ابن الأثير: كان ابن عمر شديد الاحتياط والتوقي لدينه في الفتوى، وكل ما تأخذه به نفسه،

وقد تلقي علي يده كثير من التابعين العلم والفقه وتأثر بمنهجه جلة من العلماء الذين حملوا راية لهذه المدرسة[21]

يقول إبن القيم: والدين والفقه والعلم انتشر في الإمة عن اصحاب ابن مسعود واصحاب زيد بن ثابت، واصحاب عبد الله ابن عمر واصحاب عبد الله ابن عباس فعلم الناس عامته عن اصحاب هؤلاء الأربعة. فأما اهل المدينة فعلمهم عن اصحاب زيد بن ثابت وعبد الله ابن عمر، واما اهل مكة فعلمهم عن اصحاب ابن عباس واما اهل عراق فعلمهم عن اصحاب عبد الله ابن مسعود.

ونقل ابن القيم عن ابن جرير قوله "ان ابن عمر وجماعة ممن عاشوا بعده بالمدينة من اصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم انما كانوا يفتون بمذاهب زيد ابن ثابت وما كانوا اخذوا عنه مما لم يكونا حفظوا فيه عن رسول الله قولا "[22]

الفرع الثاني: تاثير ام المؤمنين السيدة عائشة علي مدرسة المدينة:

السيدة عائشة زوجة الرسول صلي الله عليه وسلم ام المؤمنين بنت ابي بكر

هي اعلم الناس بسنن رسول الله صلي الله عليه وسلم وكانت علي درجة كبيرة من الفقه والرأي الجيد وقد إشتغلت السيدة عائشة بالفتوي في خلافة ابي بكر وعمر وعثمان الي ان انتقلت الي جوار رحمة الله رضي الله عنها وارضاها واثر ام المؤمنين علي هذه المدرسة واضح جلي حيث يظهر تاثيرها في العلم والفقه علي فقهاء المدينة من التابعين وفقهاء السبعة المشهورين: كعروة ابن الزبير والقاسم ابن عمر وسعيد ابن المسيب وغير ذلك من نجوم العلم وسراج الفتوي.

يقول ابن القيم: واما عائشة فكانت مقدمة في العلم والفرائض والأحكام والحلال والحرام وكان من الآخذين عنها الذين لا يكادون يتجاوزون قولها المتفقهين بها: القاسم بن محمد بن ابي بكر ابن اخيها وعروة ابن الزبير ابن اختها. قال مسروق "لقد رأيت مشيخة اصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم يسألونها عن الفرائض

[19] صحة عمل اهل المدينة لإبن تيمية 36
[20] المرجع السابق/17
[21] الشريعة والتشريع/83
[22] إعلام الموقعين/22/1

ISSN Online: 2709-7625
ISSN Print: 2709-7617
Vol.6 No.4, 2023

وقال عروة ابن الزبير: ما جالست احدا قط كان اعلم بقضاء ولا بحديث بالجاهلية ولا اروي للشعر ولا اعلم بفريضة ولا طب من عائشة رضي الله عنها.([23])

الفرع الثالث: وارثوا علم الصحابة:

والذين حملوا الراية بعد الصحابة وساروا علي نهجهم في المدينة المنوّرة كثيرون اشهرهم الفقهاء السبعة: سعيد ابن المسيب المتوفي سنة(93) عروة ابن الزبير المتوفي سنة(94) ابو بكر بن عبد الرحمان بن الحارث بن هشام المخزومي المتوفي سنة(94) عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود المتوفي سنة(98) خارجة ابن زيد بن ثابت المتوفي سنة(99) والقاسم ابن محمد بن ابي بكر المتوفي سنة(108) سليمان ابن يسار المتوفي سنة(100) فهولآء هم الفقهاء السبعة([24]) وقد نظم القائل فقال:

اذا قيل من في العلم سبعة ابحر روايتهم ليست عن العلم خارجة

فقل: عبيد الله، عروة، قاسم، سعيد، ابو بكر، سليمان، خارجه

ويعد سعيد ابن المسيب من ابرز شيوخ مدرسة المدينة بعد الصحابة واهم شخصية بين هولآء الفقهاء فهو كما قال ابن شهاب الزهري: افقه الناس.

وروي عن جعفر بن ربيعة قلت لعراك بن مالك: من أفقه أهل المدينة قال: "أما أفقههم فقها وأعلمهم بقضايا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقضايا أبي بكر، وقضايا عمر، وقضايا عثمان، وأعلمهم بما مضى عليه الناس فسعيد بن المسيب".

وقال عبد الرحمان بن زيد بن أسلم: لما مات العبادلة –عبد الله بن عباس، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عمرو بن العاص–؛ صار الفقه في جميع البلدان إلى الموالي؛ فكان فقيه أهل مكة عطاء بن أبي رباح، وفقيه أهل اليمن طاؤس، وفقيه أهل اليمامة يحي بن أبي كثير، وفقيه أهل الكوفة إبراهيم، وفقيه أهل البصرة الحسن، وفقيه أهل الشام مكحول وفقيه أهل خراسان عطاء الخراساني، إلا المدينة فإن الله خصها بقرشي فكان فقيه أهل المدينة سعيد بن المسيب غير مدافع.([25])

ولقد نقل إبن القيم قول إبن عمر وأبي هريرة رضي الله عنهما عن شخصية إبن المسيب وعلو مرتبته فيقول: "وقال مالك عن يحي بن سعيد عن سعيد بن المسيب قال مررت بعبد الله بن عمر، فسلمت عليه ومضيت، قال فالتفت إلى أصحابه فقال: لو رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا لسرّه، فرفع يديه جدّا وأشار بيديه إلى السماء. وكان سعيد بن المسيب صهر أبي هريرة، زوجه أبو هريرة إبنته وكان إذا رآه قال أسأل الله أن يجمع بيني وبينك في سوق الجنة، ولهذا أكثر عنه من الرواية.

ومنزلة ابن المسيب بين الفقهاء السبعة انه كان إمام مدرسة المدينة في عصر التابعين، كما كان إبراهيم النخعي إمام مدرسة الكوفة([26])

فعن هولاء السبعة انتشر فقه اهل المدينة وعلي ايدهم تخرج من جاء بعدهم من الفقهاء وتعتبر مدرسة الفقهاء السبعة المدرسة الفقهية الأولي في هذا العصر حتي سمي باسمهم فقيل: "عصر الفقهاء السبعة" وكان علمهم الفقهي أساسا الذي قامت عليه المذاهب الفقهية فيما بعد([27])

وكذلك كان في مدرسة الحجاز من أهل الفتوي ماعدا الفقهاء السبعة من ابناء الصحابة فمنهم: سالم بن عبد الله بن عمر، ابو سلمة بن عبد الرحمان بن عوف، أبان بن عثمان بن عفان نافع مولي ابن عمر وجاء بعد هذه الطبقة طبقة أخري ومنهم ابو بكر محمد بن عمرو بن حزم ومحمد بن مسلم بن الشهاب الزهري وكان من رواد هذه المدرسة والمتأثرين بها عمر بن عبد العزيز وقد انتهت رياسة هذه المدرسة إلى الإمام مالك بن أنس([28])

يقول إبن القيم: عن علماء المدينة ماسوي الفقهاء السبعة "وكان من أهل الفتوى أبان بن عثمان، وسالم، ونافع، وأبو سلمة بن عبد الرحمان بن عوف، وعلى بن الحسين. وبعد هؤلآء أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، وأبناه محمد وعبد الله، وعبد الله بن عمر بن عثمان وإبنه محمد، وعبد الله والحسين إبنا محمد بن الحنفية، وجعفر بن محمد بن علي، وعبد الرحمان بن القاسم بن محمد بن أبي بكر، ومحمد بن المنكدر، ومحمد بن شهاب الزهري، وجمع محمد بن نوح فتاويه في ثلاثة أسفار ضخمة على أبواب الفقه، ولم يخلق سوى هؤلآء([29])

---

[23] اعلام الموقعين /1/ 23 ايضا الشريعة والتشريع والتشريع 83
[24] وفيات الأعيان لإبن خلكان / تذكرة الحفاظ للذهبي ايضا طبقات الفقهاء للشيرازي /57 63
[25] اعلام الموقعين /22
[26] اعلام الموقعين/22
[27] المرونة الفقه الإسلامي وتطوره/48
[28] المدخل الي الشريعة والفقه الإسلامي/ 189
[29] اعلام الموقعين/1/19

ISSN Online: 2709-7625
ISSN Print: 2709-7617
Vol.6 No.4, 2023

المطلب الرابع: تطوّر مدرسة المدينة ورياسة الإمام مالك فيها

الفرع الاول: تطور مدرسة المدينة والشخصية الإمام مالك فيها

ولقد ذاعت شهرة مدرسة الحجاز في جميع بلاد المسلمين واستلفتت أنظار علماءها واستهوت القلوب في الرحلة إليها فخرجوا إليها يطلبون العلم ويستزيدون الفضل فقد وفد عليها إبن شهاب الزهري من الشام وأخذ من أحاديث النبي صلي الله عليه وسلم الشئ الكبير وحفظ علم فقهاء السبعة ورأي عشرة من أصحاب النبي صلي الله علي وسلم فصار إماما من الفقهاء والمحدثين والأعلام التابعين بالمدينة

فهو أول من دون علم الحديث بأمر عمر بن عبد العزيز روى عنه جماعة من الأئمة، والمحدثين منهم مالك بن أنس، وسفيان بن عيينة، وسفيان الثوري واستفاد منه الخلق الكثير وكتب عمر بن عبد العزيز إلى الآفاق: عليكم بابن شهاب، فإنكم لا تجدون أحدا أعلم بالسنة الماضية منه.

وقيل لمكحول: من أعلم من رأيت؟ قال: ابن شهاب، قيل له: ثم من؟ قال ابن شهاب. قيل له: ثم من؟ قال: ابن شهاب. وتوفي رحمه الله سنة أربع وعشرين ومائة وهو ابن اثنتين وسبعين سنة([30])

وكذلك خرج إليها من مكة عطا ابن ابي رباح واخذ من علماءها الحديث والفقه فاستبان فضله علي اقرانه كان من أجلاء الفقهاء وتابعي مكة، وزهادها. سمع جابر بن عبد الله الأنصاري وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن الزبير، وخلقا كثيرا من الصحابة رضوان الله عليهم. وروي عنه عمرو بن دينار والزهري، وقتادة، ومالك بن دينار، والأعمش، والأوزاعي، وخلق كثير رحمهم الله تعالى.([31])

كما رحل اليها الإمام الشعبي وغيره من علماء العراق ودخلها من مصر يزيد بن حبيب وبعد ان تعلم الحديث قفل راجعا الي مصر محدثا

وكذلك نلاحظ رحلات علماء الحجاز الي مختلف الأمصار منذ عهد الخلفاء الراشدين الي وقت تدوين الفقه والحديث فيخرجون الي بلاد المسلمين لنشر العلم والدين

يقول ابن تيمية" أرسل عمر بن الخطاب –رضى الله عنه- إلى الأمصار من يعلمهم الكتاب والسنة فذهب إلى العراق عبد الله بن مسعود وحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر وعمران بن حصين وسلمان الفارسي وغيرهم، وذهب إلى الشام معاذ بن جبل وعبادة بن الصامت وأبو الدرداء وبلال بن أبي رباح وأمثالهم([32])

وطلب أبو جعفر المنصور من علماء الحجاز أن يذهبوا إلى العراق وينشروا فيه العلم فقدم عليهم هشام بن عروة ومحمد بن إسحاق ويحي بن سعيد الأنصاري وربيعة بن أبي عبد الرحمان وَحَنْظَلَةُ بن أبي سفيان الجمحي وعبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون وغيرهؤلآء. وكان أبو يوسف يختلف في مجالس هؤلاء يتعلم منهم الحديث وأكثر من قدم من الحجاز؛ ولهذا يقال في أصحاب أبي حنيفة أبو يوسف أعلمهم بالحديث([33])

وهكذا تتطور وتنتشر مدرسة الحديث حتي تكتمل بناؤها وتنضج اثمارها في عصر سيدنا الإمام مالك ابن انس.

يقول الشيخ ابو زهرة ولقد نقل علم فقهاء السبعة وعلماء المدينة اثنان ابن الشهاب الزهري وربيعة الرأي وكلاهما تتلمذ له الإمام مالك رضي الله عنه([34])

فتنتهي رياسة المدرسة الي الإمام مالك الذي لقب بامام دار الهجرة والذي نشأ بمدينة المنورة موئل السنة وموطن الفتاوي المأثورة ومرجع العلماء وحين اكتملت لمالك دراسة الحديث والأثر والفقه وكتب في الحديث كتابه المشهور الموطأ الذي تداوله بالقبول العلماء والملوك جلس للتدريس في حرم النبوي (علي صاحبها الصلوات والتسليمات) في اوائل القرن الثاني الهجري وكانت حلقته اشهر الحلقات واليه يحج العلماء والطلاب من سائر البلاد الإسلامية

قال الواقدي في مجلس درسه: كان مجلسه مجلس وقار وعلم، وكان رجلا مهيبا نبيلا، ليس في مجلسه شيء من المراء واللغط، ولا ترفع الصوت، وإذا سئل عن شيء فأجاب سائله لم يقل له: من أين هذا؟ وكانت الوفود التي تفد إلى المدينة لزيارة المسجد تتزاحم عند بابه لتستفتيه؛ فكان يأذن لكل جماعة بعد جماعة لكثرتهم.([35])

---

[30] تارخ التشريع الإسلامي القطان /314 /1
[31] المرجع السابق/ الفقه الإسلامي مرونته وتطوره 50
[32] صحة عمل اهل المدينة 312
[33] صحة عمل اهل المدينة 307
[34] محاضرات في تاريخ المذاهب الفقهية/320
[35] تاريخ تشريع الإسلامي/347

ISSN Online: 2709-7625
ISSN Print: 2709-7617
Vol.6 No.4, 2023

واتفق العلماء على أن مالكا كان إماما في الحديث وأن روايته موثوق بها. وقال فيه تلميذه الشافعي: مالك حجة الله على خلقه.

وقال ابن مهدي: ما رأيت أحدًا أتم عقلًا ولا أشد تقوى من مالك, وقال: ما بقي على وجه الارض آمن على حديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من مالك، وقال أبو داود: أصح الأسانيد: مالك، عن نافع، عن ابن عمر، ثم مالك، عن الزهري، عن سالم، عن ابن عمر، ثم مالك عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة[36]

وفي حلقته هذا أسس الإمام قواعد هذه المدرسة فيظهر منهجه واصوله في هذا الكتاب

الفرع الثاني: أسلوبه في تاليف الموطا:

والموطأ كتاب يشتمل على حديث وسنة وفقه، فجمع الإمام مالك فيه ما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من احاديث واضاف اليها اقوال الصحابة والتابعين ومنهجه فيه: بأن يذكر الأحاديث في الموضوع الفقهي الذي اجتهد فيه، ثم يذكر عمل أهل المدينة المجمع عليه، ثم يذكر رأي من التقى بهم من التابعين وأهل الفقه، ثم يذكر الرأي المشهور بالمدينة، فإن لم يكن شيء من ذلك بين يديه في المسألة، اجتهد رأيه على ضوء ما يعلم من الأحاديث والفتاوى والأقضية.[37]

يقول ابن تيمية رحمه الله "في اعتماد على مذهب مالك وعلو مرتبة الموطا

فلا ريب عند أحد أن مالكا –رضى الله عنه- أقوم الناس بمذهب أهل المدينة رواية ورأيا فإنه لم يكن في عصره ولا بعده أقوم بذلك منه كان له من المكانة عند أهل الإسلام –الخاص منهم والعام. وقال بعد سطور فمعلوم " أنه بعد موت هولاء لم يكن في الأئمة أعلم من مالك في ذلك العصر وهذا لا ينازع فيه أحد من المسلمين ولا رحل إلى أحد من علماء المدينة ما رحل إلى مالك لا قبله ولا بعده رحل إليه من المشرق والمغرب ورحل إليه الناس على اختلاف طبقاتهم من العلماء والزهاد والملوك والعامة"[38]

وعن كتابه الموطا يقول الامام الشافعي رضي الله عنه "ما تحت أديم السماء كتاب أكثر صوابا بعد كتاب الله من موطأ مالك. ويقول ابن تيمية تعليقا على هذا الرأي انه ليس بعد القرآن أصح وأصوب كتاب من الموطأ لأن حديثه أصح من حديث نظرائه، وكذلك الإمام أحمد لما سئل عن حديث مالك ورأيه وحديث غيره ورأيهم؟ رجح حديث مالك ورأيه على حديث أولئك ورأيهم[39]

ويقول الشيخ إبن تيمية بأن هذا الكتاب هو السبب الرئيسي لإنتشار مذهب اهل المدينة فقال " أن مالكا هو القائم بمذهب أهل المدينة وهو أظهر عند الخاصة والعامة من رجحان مذهب أهل المدينة على سائر الأمصار فإن موطأه مشحون إما بحديث أهل المدينة وإما بما اجتمع عليه أهل المدينة إما قديما وإما حديثا وإما مسألة تنازع فيها أهل المدينة وغيرهم فيختار فيها قولا ويقول هذا أحسن ما سمعت فأما بآثار معروفة عند علماء المدينة[40]

المطلب الخامس:

منهج مدرسة الحجاز وخصائصها:

مدرسة المدينة استقت منهجها من شيوخها الأوائل الذين في مقدمتهم زيد بن ثابت وعبد الله بن عمر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين يقفون عند النصوص والاثار وتاثر بهذا المنهج تلاميذهم من التابعين وعلى رأسهم سعيد ابن المسيب كما تقدم اذ راي هو واصحابه من فقهاء المدينة ان اهل الحرمين الشريفين (مكة ومدينة) اثبت الناس في الحديث وفي الفقه ولذلك جمعوا فتاوي أبي بكر، وعمر، وعثمان، وأحكامهم, وفتاوي علي قبل الخلافة، وعائشة، وابن عباس، وابن عمر، وزيد بن ثابت، وأبي هريرة.[41]

---

[36] الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي /447
[37] تاريخ التشريع الإسلامي /351
[38] مجموع الفتاوي ابن تيمية /20
[39] صحة مذهب اهل المدينة/322
[40] صحة مذهب اهل المدينة 326
[41] الفكر السامي /96/2

ISSN Online: 2709-7625
ISSN Print: 2709-7617
Vol.6 No.4, 2023

وقد اعتمد ابن المسيب مسند أبي هريرة كثيرًا، وقضايا قضاة المدينة، وحفظ من ذلك شيئًا كثيرًا، وبه راوا انهم بعد هذه الثروة في الحديث ووفرة الاثار لايحتاجون الي استعمال الرأي والقياس ولكن عندما لم يجدوا في المسئلة نصا من القرآن والسنة ولا من آثار الصحابة فالبعض منهم يعملون الراي ويجتهدون فكان سعيد بن المسيب يوسف بالجرأة علي الفتوي

ويقول دكتور عبد المجيد "ولايجرا علي الإفتاء بكثرة من لايجرا علي الراي ولايوصف بالجري في الفتوي من يقف في الأثر لايعدوه بل يوصف بالجري من يسير في دائرة الماثور ويكثر من التخريج عليه ويسير علي منهاجه ان لم يكن نص اواثر يفتي به"

ويصف ابن ابن حسين سعيد بن المسيب بالفقه في الرأي فيقول سعيد بن المسيب اعلم الناس بالآثار وافقههم في الرأي. ويدل علي اكثاره قول يحي بن سعيد "ادركت الناس يهابون الكتب ولو كنا نكتب يومئذ لكتبنا من علم سعيد ورأيه شيئا كثيرا"[42] وربيعة بن عبد الرحمان فروخ الذي كان يستخدم الرأي كثيرا حتي اضيف اليه فقيل له ربيعة الرأي وامام مالك[43]

والبعض منهم كان يتوقف عن الإجتهاد ويعتذر عن الإفتاء مثل سالم بن عمر والإمام الشعبيلي حسب درجاتهم في البعد عن الرأي والقرب منه:يقول الشعبي: ماجاء كم به هؤلاء من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فخذوه وماكان من رأيهم فاطرحوه

ويقول الشعبي في كراهية استخدام الأي ومذمة القياس "ارأيتم لو قتل الأحنف وقتل معه صغير اكان ديتهما سواء ام يفضل الاحنف بعقله وحلمه قالوا بل سواء قال فليس القياس بشيئ

وروي ان رجلا سأل سالم بن عبد الله بن عمر عن شيء فقال: لم أسمع في هذا شيئا؛ فقال له الرجل: فأخبرني أصلحك الله برأيك، قال: لا، ثم أعاد عليه فقال، إني أرضي برأيك؛ فقال سالم: إني لعلي إن أخبرتك برأيي ثم تذهب فأرى بعد ذلك رأيا غيره فلا أجدك.، ولذلك يكرهون هولاء العلماء فقه الإفتراضي اوالسوال عما لم يقع حتي لايلجأ احدهم الي الراي اويتوقف عن الجواب[44]

ويقول صاحب الفكر السامي "وإذا لم يجد المدنيون لمن قبلهم النص على حكم مسألة بعينها, خرجوا وتتبعوا الإيماء والاقتضاء, فأخذوا بالرأي أيضًا, ولكن عند الضرورة وهو عدم وجود الأثر, فكان ذلك قولًا لهم واجتهادًا،[45]

وقد بين الشيخ الدهلوي اصول هذا المنهج ومعالمه

(1) إذا وجدوا في المسألة قرآنا ناطقا فانهم لايجيزون التحول منه إلى غيره فإذا كان القرآن محتملا لوجوه فالسنة قاضية عليه

(2) فاذا لم يجدوا حكم المسالة في كتاب الله فإنهم ياخذون بسنة رسول الله صلى الله عليه ولا يفرقون في هذا بين السنة المستفيضة الدائرة بين الفقهاء وغير المستفيضة ولايشترطون مجئ الحديث من رواية أهل بلد أو أهل بيت أو بطريق خاصة كما انهم لايشترطون عمل الصحابة بالحديث او عمل التابعين كل مايشترطونه هو صحة الحديث ومتى كان في المسألة حديث صحيح فلا يتبع فيها خلافه أثرا من الآثار ولا اجتهاد أحد من المجتهدين

(3) وإذا أفرغوا جهدهم في تتبع الأحاديث ولم يجدوا في المسألة حديثا أخذوا بأقوال جماعة من الصحابة والتابعين ولا يقيدون بقوم دون قوم ولا بلد دون بلد كما كان يفعل من قبلهم فان اتفق جمهور الخلفاء والفقهاء على شيء فهو المتبع وإن اختلفوا أخذوا بحديث أعلمهم علما أو أورعهم ورعا أو أكثرهم ضبطا أو ما اشتهر عنهم فان وجدوا شيئا يستوي فيه قولان فهي مسألة ذات قولين

(4) فان عجزوا عن ذلك تأملوا في عمومات الكتاب والسنة وإيماآتهما واقتضاآتهما وحملوا نظير المسألة عليها في الجواب إذ كانتا متقاربتين بادي الرأي لا يعتمدون في ذلك على قواعد من الأصول ولكن على ما يخلص إلى الفهم ويثلج به الصدر[46]

---

[42] الإتجاهات الفقهية لعبد المجيد/39
[43] تاريخ التشريع الإسلامي 293 وايضا 343
[44] الفقه الإسلامي مرونته وتطوره/49 وتاريخ التشريع الإسلامي للقطان /292
[45] الفكر السامي/96/2
[46] الإنصاف في اسباب الإختلاف لولي لالله الدهلوي/1/ 22

ISSN Online: 2709-7625
ISSN Print: 2709-7617
Vol.6 No.4, 2023

وترجع أسباب وقوف أهل الحجاز عند النصوص إلى الأمور الآتي

(1)تأثرهم بطريقة شيوخهم الأوائل من الصحابة رضي الله عنهم كعبد الله ابن عمر كما تقدم

(2)وجود كثير من الصحابة في مدينة الرسول صلي الله علي وسلم فنقلوا منهم احاديث وآثار تفي بحاجتهم في الاستدلال، وتغنيهم عن إعمال الرأي.

(3)يسر الحياة لدى أهل الحجاز، وقلة مشاكلهم حيث كانوا على الفطرة الأولى بمنأى عما تحدثه المدينة الفارسية أو اليونانية من تفريع للمسائل، وكان الناس يعيشون على الحالة التي كانوا يعيشون عليها في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وليس هناك من الحوادث المستجدة سوى القليل النادر.

(4)بعدهم عن مواطن الفتنة، وبواعث النزاع بالنسبة لما كان عليه الأمر في العراق؛ فقد سلموا من بدعة الخوارج والتشيع وأهل الأهواء وظل تراث الحديث والأثر محفوظا لديهم، لا تشوبه ريبة([47])

ألمطلب السادس: فيمميزات هذه المدرسة

ومن مميزات هذه المدرسة:

(1)ان هذه المدرسة نشأت في المدينة ودار الهجرة والسنة واول معلمها هو سيدنا مصطفي صلي الله عليه وسلم فسن الرسول صلي الله عليه وسلم فيها سننه وشرائعه ثم انها موطن الخلفاء الراشدين بعد وفات الرسول صلي الله عليه وسلم الذين امر الرسول بالإتباع بهم واقتداء سنتهم

(2)ان الناس كانوا يرحلون من سائر البلاد الإسلامية الي مدرسة المدينة لطلب العلم فيها فموطن الرسول هو كان المركز الرئيسي والمحور الحقيقي للحركات العلمية وإنتشار الشريعة الإسلامية([48])

(3)ان في زمن الصحابة جميع بلاد المسلمين كانوا منقادين لعلم اهل المدينة، ولا يعدون انفسهم اكفائهم في العلم وخاصة قبل وقوع الفتنة بمقتل عثمان وكانوا يرجعون الي شيوخ المدينة في العلم والفقه ويستشيرونهم فيما يشكل عليهم من المسائل

(4)مدرسة اهل المدينة كان لها فضل السبق الي تدوين السنة وقد بزل علماء الحديث قصاري جهدهم في سبيل جمع الحديث وتمييز الغث من السمين فجمعوا السنة ودونوها وجمعوا مع السنة آثار فقهاء كل بلد من الصحابة والتابعين ووضعوا القواعد والضوابط التي يحكم علي عدالة الرجال وبذلك دون فن مصطلح الحديث والجرح والتعديل([49])

(5)كراهيّتهم لكثرة السؤال، وفرض المسائل بل كانوا يُعطون الأحكام للمسائل التي تَقَع، أمّا المسائل المفترَضة، فيكرهون إعطاء الأحكام فيها. ولذلك لمّا جاء أسد بن الفرات إلى الإمام مالك يسأله -وكان أصحاب مالك يهابونه في السؤال-، فكان أسد يسأله عن المسألة، فإذا أجاب يقولون: قل له: فإن كانكذا؟ فيقول ذلك أسد، حتى ضاق ذلك بالإمام مالك يوماً، فقال لأسد: إنْ أردت ذلك، فعليك بالعراق![50]

(6)كثرة روايتهم للحديث، واعتدادهم به، والوقوف عند الآثار؛ ولو لم تكن مشهورة فالعلم هو علم الكتاب والسنة والآثر. فاهتموا بذلك وبنوا علي هذه القواعد والأسس مدرسة الحجاز([51])

(7)كان لمدرسة المدينة اكبر الأثر وعظيم الفضل في جمع السنة وحفظها وفي تدوين الحديث وتاسيس علم اصوله ورسم خطوطه ونسج خيوطه ووضع شرطه وتحديد قواعد فالله سبحانه وتعالي خص وقيض لحفاظة كلام حبيبه وبقاء سيرته وشريعته صلي الله عليه وسلم رجال وجهابزة الأعلام التي لا نظير لها مدي العصور ولا قبلها من الإمام البخاري ومسلم الي الإمام مالك الذي قال عنه الشافعي مالك حجة الله علي الأرض الي ان ينتهي هذه السلسة المبارسة الي الصحابة ابن عمر والسيدة عائشة تلاميذ حبيب المصطفي صلي الله عليه وسلم

[47]تاريخ التشريع الإسلامي للقطان/293 . الفقه الإسلامي مرونته وتطوره 49 وايضا تاريخ التشريع الإسلامي لسايس 85
[48]الشريعة والتشريع/ 84
[49]المدخل الي الشريعة والفقه الإسلامي/192
[50]تاريخ التشريع الإسلامي للقطان/293
[51]تاريخي التشريع الأشلامي للقطان وللسايس 293 و85

ISSN Online: 2709-7625
ISSN Print: 2709-7617
Vol.6 No.4, 2023

ألمبحث الثانی فی مدرسۃ العراق:وفیہ ستۃ مطالب

المطلب الأول فی التعریف لمدرسۃ العراق ومکانتھا

مدرسۃ العراق

مدرسۃ الکوفۃ:لھا اسامي عدیدۃ مدرسۃ الکوفۃ،مدرسۃ العراق،مدرسۃ اھل الرأي مدرسۃ الفقھاء،مدرسۃ القیاس،مدرسۃ ابن مسعود،مدرسۃ أبي حنیفۃ([52])

ألتعریف لمدرسۃ العراق ومکانتھا:

مدینۃ الکوفۃ من المدن التي مصرھا اصحاب رسول اللہ صلي اللہ علیہ وسلم بعد فتح العراق،وقد بنیت في ایام عمر بن الخطاب رضي اللہ عنہ سنہ(17)([53])وعاصرت ھذہ المدرسۃ مدرسۃ المدینۃ بالحجاز وحظي العراق بسکنی الکثیر من الصحابۃ حیث کانت الکوفۃ والبصرۃ قاعدتین للجیوش الإسلامیۃ ومنھما فتحت سائر الأمصار من خراسان وماورآھا ونزل بھما اکثر علماء الصحابۃ کابن مسعود،ومعاذ بن جبل وسعید بن زید وسعد بن ابي وقاص وعمار بن یاسر وابو موسي الأشعري والمغیرۃ بن شعبۃ وحذیفۃ بن الیمان وانس بن مالک وعمران بن حصین رضي اللہ عنھم أجمعین وعندما اذن سیدنا عثمان بن عفان للصحابۃ بالخروج الي الامصار فبد أیزداد في عصرہ کل یوم عددھم في الکوفۃ حتي ازداد عددھم الي حد کبیر بعد وقوع الفتنۃ ومقتل الخلیفۃ الراشد عثمان بن عفان وقد بلغ عدد الصحابۃ الذین حلّوا بالکوفۃ اکثر من ثلثمأۃ صحابي ثم اصبحت الکوفۃ في ایام علي بن ابي طالب عاصمۃ الإسلام حیث اتخذھا الإمام علي مقر الخلافۃ فصار المرکز الإسلامي والمحور الحقیقي وتوارد علیھا کثیر الصحابۃ والتابعون من مدن الإسلامیۃ الي ھذہ المدینۃ فالکوفۃ اشرقت امام العالم قبۃ الإسلام ومنارۃ العلم والفقہ وملتقي فقھاء الصحابۃ وماوي العلماء ومجمع الطلبۃ ومنشأۃ الإسلامیۃ الخالصۃ التي خصھا اصحاب رسول اللہ صلي اللہ علیہ وسلم وعمروھا([54])وفیھا وجوہ الناس کما قال عنھا عمر بن الخطاب حیثیقول نَافِعِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ:

قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: بالکوفۃ وجوہ الناس ویقول الشعبي "کتب عمر بن الخطاب إلی أھل الکوفۃ: إلی رأس أھل الإسلام: وفي روایۃ الي رأس اھل العرب وروي عن علی قال الکوفۃ جمجۃ الإسلام وکنز الإیمان وسیف اللہ ورمحہ یضعہ حیث یشاء وأیم اللہ لینصرن اللہ بأھلھا في مشارق الأرض ومغاربھا کما انتصر بالحجارۃ"لأن الکوفۃ اقام بھا کثیر من السابقین الأولین من المھاجرین والأنصار

یقول ابراھیم النخعي ھبط الکوفۃ ثلثمأۃ من أصحاب الشجرۃ وسبعون من أھل بدر فمدینۃ الکوفۃ موطن الصحابۃ کانت تحظي بمنزلۃ ممتازۃ من بین البلاد الإسلامیۃ بعد مدینۃ الرسول صلي اللہ علیہ وسلم واعترف بقیمتھا العلماء الأمصار کعطاء ابن ابي رباح الذي قال لشخص یسأٰلہ ممن انت فقال من اھل الکوفۃ فقال عطاء مایاتینا العلم الا من عندکم([55])

المطلب الثانی فقہ ھذہ المدرسۃ ومصادرھا

الفرع الاول:فقہ ھذہ المدرسۃ ومصادرھا:

---

[52]سبع مسائل فی علم الخلاف/76/1
[53]مقدمة في دراسة الفقه الإسلامي /117
[54]الإتجاھات الفقھیۃ لاستاذ عبد المجید/34 والفقه الإسلامي وتطوره/51
[55]الطبقات لإبن سعد /6 4 وایضا 86

ISSN Online: 2709-7625
ISSN Print: 2709-7617
Vol.6 No.4, 2023

أشهر شيوخ هذه المدرسة من اصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم المؤثرين في إتجاه الفقه فيها بالذات او بالواسطة هم امير المؤمنين عمر بن الخطاب علي بن ابي طالب عبد الله بن مسعود وام المؤمنين سيدة عائشة رضي الله عنهم اجمعين الذين تلمذوا عليهم وتفقهوا منهم العلم والدين جماعة من علماء الستة او سبعة علي اختلاف الرواية من فقهاء الكوفة[56]

الفرع الثاني: تأثير عمر بن الخطاب علي مدرسة الكوفة:

ربماكان عمر بن الخطاب أكثر الصحابة فقها للنص، واجتهادا في فهمه، وإقداما على إبداء الرأي فيه، والمشكلات التي اعترضت الصحابة واجتهدوا فيها، تعطي لعمر بن الخطاب رضي الله عنه هذه الميزة في أكثر من موضع وكانت شخصية عمر شخصية متعددة الجوانب، وأهم جوانبها التي تتصل بموضوعنا عبقريته في حصافة الرأي وبعد النظر، ودقة الفهم؛ فقد كان رأيه الصائب سهما من سهام الحق، يقع على المرمى فيصيب المحجة، يقول القول فينزل القران بموافقته[57]

والدليل العلمي علي ذلك قول الرسول صلي الله عليه وسلم "لقد كان فيما قبلكم من الامم محدثون فإن يك في امتي احد فانه عمر وفي رواية: لقد كان فيمن قبلكم من بني اسرائيل رجال يكلمون من غير ان يكونوا انبياء فإن يك من امتي احد فعمر[58]

فصفات عمر وملكته القادرة علي الراي الصائب والإستنباط البارع اهلته ان يتبوأ مكانة مرموقة في القضاء والفتيا منذ عهد الرسول صلي الله عليه وسلم

فكان رضي الله عنه يفتي الناس ويقضي بينهم فان اشكل عليه شيئ يسأل النبي صلي الله عليه وسلم فيه

سئل ابن عمر من كان يفتي الناس في زمن الرسول صلي الله عليه وسلم فقال ابو بكر وعمر وما اعلم غيرهما[59]

وروي ان عثمان بن عفان رضي الله عنه قال لإبن عمر اقض بين الناس فإن اباك كان قاضيا فقال ان ابي كان يقضي فان اشكل عليه شيئ سأل النبي صلي الله عليه وسلم فان اشكل علي النبي سال جبرئيل وانا لا اجد من اسأل ولست مثل ابي.[60]

وقال سعيد بن المسيب "ما اعلم احدا بعد رسول الله صلي الله عليه وسلم من عمر[61]

ومدرسة العراق لقد كان امامها ومؤسسها هو عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه وهو كان من حزب عمر في الرأي وكان لا يكاد يخالفه في شيئ من مذاهبه ويرجع عن قوله الي قوله ويقول عبد الله ابن مسعود في وسعة العلم ورفعة الشان لعمر بن الخطاب

"لو أن الناس سلكوا واديا وشعبا، وسلك عمر اوديا وشعبا، لسلكت وادي عمر وشعبه" وقال اني لأحسب عمر ذهب بتسعة اعشار العلم ولو ان علم عمر وضع في كفة الميزان ووضع علم اهل الارض في كفة لرجح علم عمر.

ولم يخالف ابن مسعود عمر الا في مسائل معدودة وكانت آراه المخالفة اكثر قبولا عند اصحابه روي الأعمش عن إبراهيم النخعي أنه كان لا يعدل بقول عمر وابن مسعود إذا اجتمعا، فإذا اختلفا كان قول عبد الله أعجب، لأنه كان ألطف[62]

فعبد الله ابن مسعود هو الناقل لفقه عمر الي مدرسة الكوفة فقد اختار منهجه في الأخذ بالرأي والتوسع في الإستنباط والإجتهاد لمعرة الحكام حيث لا نص فيها من القرآن والسنة، نضف الي ذلك ذهاب جماعة من علماء الكوفة والفقهاء الستة امثال علقمة ابن قيس، مسروق بن اجدع، اسود بن يزيد، سعيد ابن جبير، عامر شراحيل الشعبي من اعلام التابعين وفقها مدرسة الكوفة الي مدرسة الحجاز فتلقوا الفقه والحديث من اصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم وتلمذوا علي ابي بكر وعمر وعثمان وعلي وابن مسعود وابن عمر وابن عباس وعائشة ام المؤمنين رضي الله عنهم وكثير الصحابة من المهاجرين والأنصار فحفظوا من احاديث الرسول صلي الله عليه وسلم واثار الصحابة فلذلك سيدنا عمر بن

---

[56] مقد في دراسة الفقه الإسلامي /117 الفقه الإسلامي وتطوره 52
[57] تاريخ التشريع الإسلامي للقطان/ 289
[58] البدر العيني عمدة القاري في شرح البخاري /198/16

[59] ابن سعد الطبقات الكبري /345
[60] المرجع السابق/346
[61] اعلام الموقعين /2/20-21
[62] اعلام الموقعين/1/18-19-22

ISSN Online: 2709-7625
ISSN Print: 2709-7617
Vol.6 No.4, 2023

الخطاب كان اشد تاثيرا في بناء قواعد هذه المدرسة بواسطة ابن مسعود وتلا ميذه من التابعين من الكوفة الذين ترسموا خطاه وسلكوا اثره في وضع اسس هذه المدرسة([63])

الفرع الثالث: عبد الله ابن مسعود مكون لمدرسة الكوفة ومدي تاثيره عليها:

ان عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه كان من انفذ الصحابة بصيرة في القتيا ومن ساداتهم في القران والفقه وكان من الفقهاء السبعة المكثرين بالفتوي من اصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم([64])

ولقد شهد له الرسول صلي الله عليه وسلم والصحابة والتابعون بالعلم والفضل ويعد من المحفوظين بين الصحابة واقربهم الي اللهزلفي كما أخرجه البخاري والترمذي، والمحفوظون: الذين حفظهم الله من تحريف أو تحريف في قول أو فعل.

ويقول له الرسول صلى الله عليه وسلم عندما اسلم "إنك غلام معلم" ويصبح سادس المسلمين،

يقول ابن مسعود: لقد رأيتني سادس ستة، ما على ظهر الأرض مسلم غيرنا، وكان أول من جهر بالقرآن وأسمعه قريشا وقيل لحذيفة: حدثنا بأقرب الناس من رسول الله صلى الله عليه وسلم هديا ودلا وسمتا نلقاه فنأخذ عنه، ونسمع منه؛ فقال: كان أقرب الناس هديا ودلا وسمتا برسول الله صلى الله عليه وسلم ابن مسعود

وقال رسول الله صلي الله عليه وسلم اني رضيت لأمتي مارضي لها ابن ام عبد

وقول النبي صلي الله عليه وسلم "تمسكوا بعهد ابن مسعود

وقال النبي صلي الله عليه وسلم: "من سره أن يقرأ القرآن غضا كما نزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد". وقال: "لو كنت مؤمرًا أحدا دون شورى المسلمين لأمرت ابن أم عبد"

وقال عقبة بن عمرو: ما أرى أحدا أعلم بما أنزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم من عبد الله؛ فقال أبو موسى: إن تقل ذلك، فإنه كان يسمع حين لا نسمع، ويدخل حين لا ندخل.

وقال عمر رضي الله عنه في ابن مسعود يشهد له بالعلم والفقه "كنيف ملىء علما.

وكان لهذه الصحبة أثرها في علم ابن مسعود وفقهه، يقول رضي الله عنه:

والله ما نزل في القرآن شيء إلا وأنا أعلم في أي شيء نزل، وما أحد أعلم بكتاب الله مني، ولو أعلم أحدا تمتطي إليه الإبل أعلم مني بكتاب الله لأتيته، وما أنا بخيركم.

وكان يقول: أخذت من في رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعين سورة. وشهد ابن مسعود فتوح الشام، وسيره عمر إلى الكوفة ليعلمهم أمور دينهم، وبعث عمارا أميرا، وقال: إنهما من النجباء من أصحاب محمد فاقتدوا بهما، واطيعوا واسمعوا قولهما وكان مهاجرا ابن مسعود بحمص فحدره عمر بن الخطاب إلى الكوفة وكتب إلى أهل الكوفة: إني بعثت إليكم بعبد الله بن مسعود معلما ووزيرا وآثرتكم به على نفسي([65]) فخذوا عنه

وتاثير ابن مسعود رضي الله عنه ظاهر وجلي علي مدرسة الكوفة فقد اقام في الكوفة ثلاثة عشرة سنة تقريبا يعلم اهلها القران ويفقههم الفقه فاجتمع حوله طلاب العلم وفقهاء الكوفة وتلقوا منه الفقه والحديث وحفظوا اقواله وسلكوا علي نهجه في الإجتهاد والرأي وكان منهجه في الفتوي الإعتماد بالرأي حيث لا نص فيه من القران والسنة ولا اثر من اثار الصحابة كما كان يقل من التحديث تنفيذ الوصية عمر بن الخطاب وخوفا من ان يحدث عن الرسول صلي الله عليه وسلم مالم يقله

وروي عَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ قَالَ: اخْتَلَفْتُ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ سَنَةً مَا سَمِعْتُهُ يُحَدِّثُ فِيهَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَلَا يَقُولُ فِيهَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِلَّا أَنَّهُ حَدَّثَ ذَاتَ يَوْمٍ بِحَدِيثٍ فَجَرَى عَلَى لِسَانِهِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَعَلَاهُ الْكَرْبُ حَتَّى رَأَيْتُ الْعَرَقَ يَتَحَدَّرُ عَنْ جَبْهَتِهِ ثُمَّ قَالَ: إِنْ شَاءَ اللَّهُ إِمَّا فَوْقَ ذَاكَ وَإِمَّا قَرِيبٌ مِنْ ذَاكَ وَإِمَّا دُونَ ذَاكَ

---

[63] الإتجاهات الفقهية عند احاب الحديث/35 تاريخ التشريع للمناع/289

[64] اعلام الموقعين /10/1

[65] طبقات ابن سعد /3/ 114... /93/6 وايضا تاريخ التشريع للقطان 249 /250

ISSN Online: 2709-7625
ISSN Print: 2709-7617
Vol.6 No.4, 2023

وروي عَنْ مَسْرُوقٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: حَدَّثَ يَوْمًا حَدِيثًا فَقَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ثُمَّ ازْعَدَّ وَازْعَدَّتْ ثِيَابُهُ. ثُمَّ قَالَ: أَوْ نَحْوَ ذَا أَوْ شِبْهَ ذَا.(66)

فلقد عني ابن مسعود بذلک عناية لا مزيد عليها فامتلأت مدينة الكوفة بالقراء والفقهاء بحيث ابلغ بعض ثقات اهل العلم عدد من تفقه عليه وعلي اصحابه نحو اربعة آلاف عالم حتي ان علي ابن ابي طالب كرم الله وجهه لما انتقل الي الكوفة سرّ من كثرة فقهاءها وقال رحم الله ابن امّ عبد قد ملأ هذه القرية علما،

وفي لفظ "اصحاب ابن مسعود سرج هذه القرية(67)

ودخل علي سيدنا علي بن ابي طالب قوم من اهل الكوفة لما اتي الكوفة فذكروا ابن مسعود واثنوا عليه فقالوا "يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا رَأَيْنَا رَجُلًا أَحْسَنَ خُلُقًا وَلَا أَرْفَقَ تَعْلِيمًا وَلَا أَحْسَنَ مُجَالَسَةً وَلَا أَشَدَّ وَرَعًا مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ. فَقَالَ عَلِيٌّ: نَشَدْتُكُمُ اللَّهَ. إِنَّهُ لَصِدْقٌ مِنْ قُلُوبِكُمْ؟ قَالُوا: نَعَمْ. فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أُشْهِدُكَ. اللَّهُمَّ إِنِّي أَقُولُ فِيهِ مِثْلَ مَا قَالُوا أَوْ أَفْضَلَ، قَرَأَ الْقُرْآنَ فَأَحَلَّ حَلَالَهُ وَحَرَّمَ حَرَامَهُ. فَقِيهٌ فِي الدِّينِ. عَالِمٌ بِالسُّنَّةِ.(68)

اما علي ابن ابي طالب رضي الله عنه فقد ظهر تأثيره في هذه المدرسة منذ ان اتخذ الكوفة مقرا للخلافة حيث تفقه عليه واخذ منه بعض اهل الكوفة العلم الا ان ما اهمه الإشتغال بامور السياسة وانتظام لأمور المسلمين واحاط فترة اقامته فتن واضطرابات وانقسامات جعل اثره الفقهي ضعيفا غير ظاهر لا سيما وان خلصاءه لم يكونوا محل ثقة الفقهاء نظرا لتشيعهم وتعصبهم له بالحق وبالباطل وكان فقه وعلمه المثوق بهما هو ما نقله اصحاب ابن مسعود دون غيرهم فتتبين تأثير عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه في مدرسة الكوفة بعلمه وبما نقله من فقه عمر وعلمه وبذلک بنيت قواعد مدرسة الكوفة وانبتت بذورها ووضعت اسسها وتكونت اصولها فعبد الله ابن مسعود هو الرائد الاول لمدرسة الكوفة وزعيمها(69)

المطلب الثالث تلاميذ عبد الله ابن مسعود ورواد مدرسة الكوفة

الفرع الاول: تلاميذ عبد الله ابن مسعود ورواد مدرسة الكوفة

وكان من اشهر اصحابه وعمد مدرسته الفقهاء الستة وهم علقمة بن قيس النخعي المتوفي سنة(62)ه. اسود بن يزيد النخعي المتوفي سنة(75)ه. ومسروق بن الأجدع الهمداني المتوفي سنة(63)ه. وعبيدة بن عمر السلماني المتوفي سنة(72)ه. وشريح بن الحارث المتوفي سنة(82)ه. الحارث الأعور المتوفي سنة(82)ه. وهم جميعا من فقهاء القرن الأول حيث ماتوا مابين سنة62_82ه(70)

وكان انبلهم علقمة ابن قيس النخعي ولد في حياة النبي صلي الله عليه وسلم وتعلم القرآن والفقه عن ابن مسعود وخرج الي المدينة اخذ عن عمر وعثمان وزيد ابن ثابت وعائشة ام المؤمنين وعبد الله ابن عمر وغيرهم رضي الله عنهم اجمعين ورحل الي الشام الي ابي الدرداء فتلقي عنه الحديث وهو ممن جمع علوم الأمصار(71) ويقول ابن مسعود لا اعلم شيئا الا وعلقمة يعلمه وروي عن علقمة قال كنت رجلا قد أعطاني الله حسن صوت القرآن، وكان ابن مسعود يستقرئني ويقول لي: اقرأ فداک أبي وأمي، وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إن حسن الأصوات يزين القرآن". وكان أشبه الناس هديا، وسمتا، ودلا بابن مسعود. وروي عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ عَنْ مُرَّةَ قال: كان علقمة من الربانيين. وقال قابوس بن ابي ظبيان قلت لابي لأي شيئ تدع الصحابة وتاتي علقمة قال ادركت ناسا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألون علقمة ويستفتونه وقال الذهبي عنه "كان فقيها اماما بارعا طيب الصوت بالقران ثبتا بما ينقل وصاحب خير وورع(72)

66 الطبقات /114/3
67 فقه اهل العراق /39
68 طبقات لإبن سعد/115/3
69 الفقه الإسلامي مرونته وتطوره/53
70 مقدمة في دراسة الفقه لإسلامي /118 و مرونة الفقه الإسلامي وتطوره/53 المدخل للفقه الإسلامي للمدكور126
71 فقه اهل العراق/42
72 طباقات لإبن سعد/146/6 و150.تاريخ التشريع للمناع؟31/ وللسايس/90

ISSN Online: 2709-7625
ISSN Print: 2709-7617
Vol.6 No.4, 2023

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية معترفا بدرجة هولاء الفقهاء في العلم والفقه وفي تفضيل أصحاب عبد الله ابن مسعود علي فقهاء الحجاز في عصرهم فيقول "وأن فيهم من هو أفضل من كثير من أهل الحجاز ولايستريب عالم في مثل أصحاب عبد الله بن مسعود كعلقمة والأسود وعبيدة السليماني والحارث التيمي وشريح القاضي ثم مثل إبراهيم النخعي والحكم بن عتيبة وأمثالهم من أوثق الناس وأحفظهم فلهذا صار علماء أهل الإسلام متفقين على الإحتجاج بما صححه أهل العلم بالحديث من أيّ مصر كان(73)

فعلقمة هو من ابرز شيوخ مدرسة الكوفة في عصر التابعين وانتشر منه علم عبد الله ابن مسعود وتزعم هذه المدرسة بعد ذلك فقيه المعي ه شخصية تشريعية خصية نشا من بيت جل اهلها فقهاء الذي ادرك بعض اصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم امثال ابي سعيد الخدري والسيدة عائشة وتلقي الرواية والفقه في مدرسة ابن مسعود وروي عن علقمة ومسروق وشريح وغيرهم وكان ابراهيم النخعي اعلم اهل الكوفة بمذهب ابن مسعود واصحابه ويعتبر لسان فقهاء الكوفة واماهما كما يعتبر سعيد ابن المسيب لسان فقهاء الحجاز واعلمهم في مدرسة المدينة وقد اجمعوا علي جلالته وبراعته في الفقه(74)وفهذا عامر بن شراحيل الشعبي من مدرسة الحديث والحدث الكبير يفضل ابراهيم النخعي علي علماء الامصار كلها حيث يقول لرجل حضر جنازته عندما توفي سنة(95)ه "دفنتم افقه الناس فقال الرجل ومن الحسن قال افقه من الحسن ومن اهل البصرة ومن اهل الكوفة واهل الشام واهل الحجاز ويقول ماترك احد اعلم منه ويقول الأعمش كان ابراهيم صيرفي الحديث ويقول ماعرضت علي ابراهيم حديثا قط الا وجدت عنده منه شيئا وحدثه ابن نعيم في الحلية عن اعمش انه يقول "مارايت ابراهيم يقول برايه في شيئ قط واهل النقد يعد مراسيل النخعي صحاحا بل يفضلون مراسيله علي نفسه(75)وبمثل هذا الإمام الجليل تفقه حماد ابن ابي سليمان شيخ ابي حنيفة وقد انتهت رياسة هذه المدرسة الي ابي حنيفة

ألفرع الثاني الإمام ابوحنيفة زعيم مدرسة الكوفة

ابوحنيفة النعمان بن ثابت امام اهل العراق فقيه الأمة مدقق النظر والقياس من اتباع التابعين ادرك زمن اربعة من الصحابة: انس بن مالك بالبصرة، عبد الله بن ابي اوفي بالكوفة وسهل بن سعد الساعدي بالمدينة وابا الطفيل عامر بن واثقلة بمكة ولم يلق احدا منهم وقيل انه لقي انس بن مالك، كما ذكره الذهبي نقلا عن الخطيب في تاريخ بغداد انه لقي انس بن مالك(76)، وروي عنه حديث طلب العلم فريضة علي كل مسلم وقال الإمام ابن عبد البر في كتاب جامع العلم, عن أبي يوسف قال: سمعت أبا حنيفة يقول: حججت مع أبي سنة 93 ثلاث وتسعين, ولي ست عشرة سنة, فإذا شيخ قد اجتمع عليه الناس فقلت لأبي: من هذا الشيخ؟ فقال: هذا رجل صحب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقال له عبد الله بن الحرث بن جزء. فقلت لأبي: قد مني إليه حتى أسمع منه، فتقدَّم بين يدي, وجعل يفرج لناس حتى دنوت منه، فسمعته يقول: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: "من تفقَّه في دين الله كفاه الله همَّه, ورزقه من حيث لايحتسب"

وعلي هذا فهو من التابعين بدأ حياته العلمية بدراسة علم الكلام ثم تعلم فقه مدرسة الكوفة علي شيخه حماد بن ابي سليمان وغيره من اجلاء التابعين ولازم شيخه حماد ثماني عشرة سنة وحدث عن عطا ابن ابي رباح ونافع مولي ابن عمر وقتادة وغيرهم

واخذ عنه ابو يوسف ومحمد بن الحسن الشيباني وزفر والحسن بن زياد وغيرهم.

وروي عنه عبد الله ابن مبارك ووكيع ابن الجراح وخلق سواهم وبلغ في الفقه منزلة لم يصل اليها احد ممن عاصره كما كان في الحديث ثقة فيما يروي وفيما يحفظ وشهد له بذلك كبار المدثين وكان معروفا بالورع وصدق المعاملة(77)

قال ابن المبارك "افقه الناس ابوحنيفة مارأيت في الفقه مثله

وكان يحي بن سعيد القطان يقول "لانكذب والله ماسمعنا احسن من رأي ابي حنيفة وقد اخذنا باكثر اقواله. وسئل عن امام مالك هل رأيت اباحنيفة؟ فاجاب رأيت رجلا لو كلمك في هذه السارية ان يجعلها ذهبا لقام بحجته

وقال الليث لمالك اراق تعرق فقال ملك عرقت مع ابي حنيفة انه لفقيه يامصري

73مجموع الفتاوي لإبن تيمية/317/17
74الفكر السامي /96/2 المدخل للفقه الإسلامي لمدكور 126_127
75فقه اهل العراق وحديثهم لكوثري /46 وتاريخ التشريع للقطان 318
76تاريخ التشريع لسايس
77مقدمة في دراسة الفقه الإسلامي

ISSN Online: 2709-7625
ISSN Print: 2709-7617
Vol.6 No.4, 2023

و قال الإمام الشافعي "الناس في الفقه عيال علي ابي حنيفة.

و قال جعفر بن ربيعة اقمت علي ابي حنيفة خمس سنين فما رأيت اطول صمتا منه فاذا سئل عن الشيئ في الفقه تفتح وسأل كالوادي. وقد ذكرت كتب المناقب كثيرا من اخلاق ابي حنيفة الحميدة وما كان عليه من ورع وفطنة وزكاء ومواساة لإخوانه وصلابته في الحق[78]

ألفرع الثالث: شخصيته النابغة ومنهجه في تقويم المدرسة

هكذا اتسع دائرة مدرسة الكوفة وتطور بناءها وترتفع عمودها وتلمذ عليها جيل بعد جيل وتلقته جماعة من الجماعة حتي وصلت زعامتها الي فقيه الأمة واستاذ الأئمة الإمام ابوحنيفة الذي لم يألو جهده في تقويم قواعد المدرسة واستنباط الأصول من النصوص القران والسنة واستخراج علل الضوابط من مقاصد الشريعة ولعب دورا بارزا في تكوين المدرسة وتربية رجالها فكانت حلقته مدرسة علمية تربي فيها جيل من الفقهاء الذين بلغوا درجة الإمامة ولا يقل مرتبتهم في العلم والفهم عن استاذهم امثال ابي يوسف ومحمد بن الحسين الشيباني وزفر بن الهذيل ووضع مذهبه عليا لشوري في الرأي بين الشيخ والتلاميذ لم يستبد فيه بنفسه دونهم ولكن يوجههم نحو الإستقلال في الراي وينهاهم عن التزام اقواله فكان يلقي المسائل مسئلة مسئلة ويسمع ما عندهم ويقول ما عنده واحيانا يناظرهم شهرا او اكثر حتي يستقر احد الأقوال فيها ثم يثبتها ابو يوسف في الاصول حتي اثبت الاصول كلها[79]

قال الإمام الطحاوي عن رواية اسد بن الفرات "قال كان اصحاب ابي حنيفة الذين دونوا الكتب اربعين رجلا، فكان في العشرة المتقدمين: ابو يوسف، زفر بن هزيل، وداود الطائي، واسد بن عمرو، ويوسف بن خالد السمتي (احد مشائخ الشافعي) ويحي بن زكريا بن ابي الزائدة (وهو الذي كان يكتبها لهم ثلاثين سنة)... وقال كانوا يختلفون عند ابي حنيفة في جواب المسئلة فيأتي هذا بجواب ويأتي هذا بجواب ثم يرفعونها اليه ويسئلونه عنه فيأتي الجواب من كثب _ اي من قرب _ وكانوا يقيمون في المسألة ثلاثة ايام ثم يكتبونه في الديوان[80]

و من هذا يظهر ان الإمام ابوحنيفة لا يحمل اصحابه علي قبول ما يلقيه عليهم بل كان يحملهم علي ابداع ما عندهم الي ان يتضح عندهم المركوض الصبح فيقبلون ما وضحت دليله وينبذون ما سقطت حجته وكان الإمام يقول لا يحل لأحد ان يقول بقولنا حتي يعلم من اين قلناه فأسلوبه هذا هو الأسلوب الأمثل في التدريب علي الفقه وتنشئة الناشئين.

و قال استاذنا الدسوقي عن ابي حنيفة "وكان الرجل في حلقته يوجه تلاميذه نحو الإستقلال في الراي وينهاهم عن التزام اقواله وهو بذلك علم جيلا من الفقهاء بلغ درجة الإمامة وافاد الفقه والمذهب اكبر فائدة ولإيمان ابي حنيفة بالحرية الفكرية كانت حلقته مدرسة علمية تربي فيها كما اوانا انفا جيل من الفقهاء الذين بلغوا درجة الإمامة ولا يقل مرتبتهم في العلم والفهم ومن ثم كان سمات مذهب الحنفي انه قام علي الشوري في الرأي بين الشيخ والتلاميذ وان الشيخ كان حريصا علي بناء الرجال اكثر من حرصه علي تأليف الكتب ولهذا لم يؤثر عنه المؤلفات الفقهية وقد دون تلاميذه فقهه ومع هذا يظل شانه كما قال الإمام الشافعي عنه "الناس في الفقه عيال علي ابي حنيفة[81]

ويقول ابن حجر المكي "قال بعض الإئمة لم يظهر لأحد من ائمة الإسلام المشهورين مثل ما ظهر لأبي حنيفة من الأصحاب والتلاميذ ولم ينتفع العلماء وجميع الناس بمثل ما انتفعوا به وباصحابه في تفسير الاحاديث المشتبهة والمسائل المستنبطة والنوازل والقضا والاحكام

و قال محمد بن اسحاق النديم في الفهرست في اتساع مذهب الحنفي والعمل به ورواجه عند شطر هذه الأمة منذ اقدم عهد الي يومنا هذا "العلم براو بحر اوشر قا وغربا بعدا و قربا تدوينه له رضي الله عنه[82]

الفرع الرابع: اصول مدرسة ابي حنيفة

اصول المذهب الحنفي هو الكتاب والسنة واجماع الصحابة والقياس والإستحسان والعرف فيقول الإمام ابوحنيفة بالنسبة للاصول التي يعول عليها في اجتهاده وفقه

---

[78] فقه اهل العراق وحديثهم /53 الفكر السامي 120
[79] مقدمة في دراسة الفقه الإسلامي/159
[80] فقه اهل العراق وحديثهم/54
[81] مقدمة في دراسة الفقه الإسلامي/159 الإنتقاء لإبن عبد البر 136
[82] خيرات الحسان 26

ISSN Online: 2709-7625
ISSN Print: 2709-7617
Vol.6 No.4, 2023

إني آخذ بكتاب الله إذا وجدته، فما لم أجده فيه أخذت بسنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم, والآثار الصحاح عنه التي فشت في أيدي الثقات، فإذا لم أجد في كتاب الله ولا سنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم, أخذت بقول أصحابه من شئت, وأدع قول من شئت، ثم لا أخرج عن قولهم إلى قول غيرهم، فإذا انتهى الأمر إلى إبراهيم والشعبي وابن المسيب -وعدَّد منهم رجالًا, فلي أن أجتهد كما اجتهدوا.([83])

وفي هذا القول مايدل علي انه ياخذ بالكتاب الكريم كما ياخذ به كل الأئمة فإن وجد خلاف بينهم فلا يبعد ان يكون في فهم مدلوله واشارته وطرق الاستنباط منه

والامام ياخذ بالسنة وان كان له مسلك خاص فهو يتشدد في قبول الخبر عن رسول الله صلي الله هليه وسلم ويتحرى عن رجال الحديث، ويتثبت من صحة روايتهم؛ فقد لا يقبل الخبر عن رسول الله صلى الله وسلم إلا إذا رواه جماعة عن جماعة، أو اتفق فقهاء الأمصار على العمل به، اوروي واحد من الصحابة الحديث عن رسول الله صلي الله عليه وسلم في جمع منهم فلم يخالفه احد لأن هذا يدل علي اقرارهم له

يقول صاحب الفكر السامي "في اعتبار الخبر الواحد عند ابي حنيفة"

ان أباحنيفة يعمل به، لكن بشرط أن لا يخالفه راويه، فإن خالفه فالعمل بما رأى لا بما روى، لأنه لا يخالف مرويه إلّا وقد اطّلع على قادح استند فيه لدليل.... ويشترط أيضًا أن لا يكون مما تعمّ به البلوى, فإن عموم البلوى يوجب اشتهاره أو توافره، فإذا روي آحادًا فهو علة قادحة عنده، كحديث: "من مس ذكره فليتوضأ"([84])

ويقول الدكتور دسوقي "فهذ الإمام (ابوحنيفة) ماكان ياخذ بالأحاديث الا اذا استوفت هذه الشروط ومع هذا لم تكن بضاعته منها قليلة ويدل جامع مسانيد الأعظم الذي جمعه خوارزمي وهو يضم خمسة عشر مسندا علي فساد من زعم قلة اعتناء ابي حنيفة بالحديث او انه كان يقدم استعمال الرأي علي اتباع الحديث([85])

وكذلك ياخذ ابوحنيفة باقوال الصحابة لكن اذا روي في المسألة قولان او اكثر لهم فيختار اعدلها واقربها الي الأصل العامة وكان لا يهتم بأقوال التابعين الا ان يوافق اجتهاده ويتوسع في القياس والإستحسان كما كان يأخذ بالعرف والإجماع

خصائص مدرسة العراق ومسلكها في الإستنباط

يري فقهاء هذه المدرسة علي ان شرع الله تعالي قد اكتمل وبين قبل وفات النبي صلي الله عليه وسلم وان شريعة الإسلام معقولة المعاني مشتملة علي مصالح راجعة الي العباد ومبنية علي اصول محكمة وعلل الضابطة لحكم او لمسألة ما التي فهمت من نصوص شرعية القرآن والسنة فكانوا يبحثون عن تلك العلل التي شرعت الأحكام من اجلها ويجعلون الحكم دائرا معها وجودا وعدما ولذلك هولاء الفقهاء لا يتهيبون اي مسألة او فتوي بل يجيبون ويفتون بكل استفتاء وسوال ولا يشترط لإجابتهم ان تكون المسألة واقعية بل علما انفسهم يفترضون المسائل علي قواعد الشرعية ثم يخوضون في عللها ويقلبونها علي جميع وجوهها ثم يستنتجون لكل فرض حكمه وهم وان كانوا يرجون بكل استفتاء ومسألة ولا ينقبضون في اجابة الفتوي واقعية كانت ام فرضية كما مرت الا انهم كانوا يهابون رواية الحديث ورفع سنده لرسول الله صلي الله عليه وسلم مخافة ان يكون الحديث مكذوبا وربما يردون بعض الأحاديث لمخالفتها لهذه العلل بالخصوص اذا وجدوا لها معارضا فيقللون بالتحديث عن النبي صلي الله عليه وسلم ولذلك سماهم بعض العلماء اهل الرأي واريتيين بكثرة استخدام الرأي وقلة رواية الحديث بخلاف شيوخ مدرسة المدينة فكانوا يبحثون عن النصوص ولا يبحثون عن العلل والقواعد الا اذا اعوزهم نص او اثر عن الصحابة في حكم المسالة المعروضة عليهم وهذا الشيئ لا يحدث عندهم الا قليل ولذلك كان بحثهم عن النصوص والآثار اكثر من بحثهم عن العلل([86])

يقول صاب الفكر السامي "ان إبراهيم النخعي يرى أن أحكام الشرع معقولة المعنى، مشتملة على مصالح, راجعة إلى الأمة، وأنها بُنيَت على أصول محكمة, وعلل ضابطة لتلك الحكم فُهِمَت من الكتاب والسنة، وشرعت الأحكام لأجلها لينتظم بها أمر الحياة، فكان يجتهد في معرفتها ليدير الحكم لأجلها حيث دارت وإن العقل يمكن أن يدرك ويدرك حسنها وقبح ضدها؛ لأن الشرع أرشد إليها, لا أن العقل له استقلال في ذلك كما يقول المعتزلة..... فأحكام الله لها غايات, أي: حِكَمٌ ومصالح راجعة إلينا.

---

[83] تاريخ التشريع للمناع/331
[84] الفكر السامي /133
[85] مقدمة في دراسة الفقه الإسلامي 160
[86] المدخل للفقه الإسلامي مدكور/127 وتاريخ التشريع لسايس 85

ISSN Online: 2709-7625
ISSN Print: 2709-7617
Vol.6 No.4, 2023

يدل لذلك القرآن، قال الله تعالى: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}, و قال تعالى: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا}، و قال تعالى: {يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ(87)

المطلب الرابع فيأسباب استخدام الرأي في مدرسة العراق

اسباب استخدام الرأي في مدرسة العراق

(1) تأثرهم باشياخهم واعتمادهم علي طريقتهم وعلي مقدمتهم الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، الذي كان ينحى منحى عمر بن الخطاب، وأستاذ الكوفة- كما عرفنا- واطلاعهم على أقضية علي بن أبي طالب واجتهاداته مدة خلافته بينهم(88) مثاله في هذا مناظرة ابي حنيفة مع الأوزاعي واعتماد لكل منهما علي مشيخته والوقوف عند حد السنة في نظره: اجتمع الأوزاعي بأبي حنيفة بمكة، فقال الأوزاعي: مابالكم لاترفعون أيديكم عند الركوع والرفع منه؟ فقال أبو حنيفة: لم يصح عن رسول الله في ذلك شيء. فقال الأوزاعي: كيف وقد حدّثني الزهري عن سالم عن أبيه عن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- أنه كان يرفع يديه إذا افتتح الصلاة وعند الركوع وعند الرفع منه, فقال أبو حنيفة: حدّثنا حمّاد عن إبراهيم عن علقمة, والأسود عن ابن مسعود أن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- كان لا يرفع يديه إلّا عند افتتاح الصلاة, ولا يعود لشيء من ذلك. فقال الأوزاعي: أحدثك عن الزهري عن سالم عن أبيه, وتقول: حدثني حمّاد عن إبراهيم, فقال له أبو حنيفة: كان حماد أفقه من الزهري، وكان إبراهيم أفقه من سالم، وعلقمة ليس بدون ابن عمر إن كان لابن عمر صحبة, أو له فضل صحبة, فالأسود له فضل كثير، وعبد الله هو عبد الله فسكت الأوزاعي(89) فنحن نلاحظ ثقة لكل مدرسة برواة اهل بلدها والتأثر بمسلكها

والمثال الثاني في ترجيح لكل اتجاه من الإتجاهين مذهبه وهذا في مسألة القضاء باليمين مع الشاهد اهو يجوز ام لا اختلف فيه فقهاء الحجاز وفقهاء العراق فجمهور أهل الحجاز عندهم يجوز القضاء بالشاهد واليمين في الأموال؛ لأن هذا قد ثبت عندهم في الحديث، لما رواه مالك أنه بلغه أنه أبا سلمة بن عبد الرحمن، وسليمان بن يسار سألا: هل يقضي باليمين مع الشاهد؟ قالا: نعم، و قال الشافعي: أخبرنا مالك، عن جعفر بن محمد، عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى باليمين مع الشاهد، وذلك خاص بالأموال وجمهور فقهاء العراق يذهبون إلى أنه لا يقضي إلا بر جلين، أو رجل وامرأتين، ولا يقضي بشاهد ويمين في شيء من الأشياء تمسكا بالقرآن في قوله تعالى: {وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ}(90)

(2) والعراق متاخم للفرس، واتصل بالحضارة الفارسية اتصالا وثيقا؛ فالمسائل التي يحتاج الي تعرف احكامها في العراق اكثر منها في الحجاز نظر البداوة اهل الحجاز وحضارة اهل العراق وذلك من شأنه أن يحدث كثيرا من المسائل والفتاوي والنوازل والجزئيات، والمشاكل المتعددة التي تحتاج إلى إعمال الرأي وكثرة القياس، روي عن إبراهيم النخعي أنه قال: "إني لأسمع الحديث الواحد فأقيس عليه مائة شيء(91)

يقول الدكتور دسوقي "والعراق قطره تاريخ عريق في الحضارة والثقافة تعاقبت عليه امم متحضرة من نحو ثلاثين قرن قبل الميلاد فالبابليون والأشوريون والفرس واليونانيون كل هولاء انشأوا في العراق ممالك كانلها تاثيرها الحضاري علي البلدان المجاورة وكان العراق قبل الفتح الإسلامي ضمن حدود الدولة الفارسية وكان للفرس اديان مختلفة.....وفي امارة المناذرة بالحيرة في عهد سابور الأول ملك الفرس عام (240م) وهي امارة عربية تكونت من قبائل بكر وربيعة الذين نزحوا الي العراق في هذه الإمارة انتشرت الفلسفة اليونانية والديانة النصرانية عن طريق الأسري الرومانين ولا جدال في ان هذه المواريث الحضارية كان لها اثرها في حياة العراق الفكرية بعد الإسلام فتميز علماؤه بوجه عام بالجدال العلمي القائم علي المنطق والبرهان(92)

87 الفكر السامي /97/2
88 تاريخ التشريع للمناع/290
89 الفكر السامي /100/2
90 تاريخ التشريع للمناع/297/296
91 تاريخ الفقه الإسلامي لسايس/86
92 مقدمة في دراسة الفقه الإسلامي/119

ISSN Online: 2709-7625
ISSN Print: 2709-7617
Vol.6 No.4, 2023

(3)وكان العراق موطن الشيعة والخوارج، وعلى أرضه دارت الفتنة، ثم شاع الوضع في الحديث تأييد اللمذاهب السياسية، وهذا جعل علماءه في مدرسته يقلون من رواية الحديث، ويتحفظون فيها، تحرزا من الوقوع في الأحاديث الموضوعة؛ فكانت الأحاديث التي يعول عليها لديهم قليلة، وهذا يدعوهم عند النظر في المسائل إلى القول بالرأي حيث لا نص من القران والسنة ولا اثر من الصحابة([93])

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في عدم الثقة علي روايات أهل العراق بسبب شيوع الكذب علي حديث النبي صلي الله عليه وسلم فيها فقال " أما أهل الكوفة فلم يكن الكذب في أهل بلد أكثر منه فيهم ففي زمن التابعين كان بها خلق كثيرون منهم معروفون بالكذب لا سيما الشيعة فإنهم أكثر الطوائف كذبا باتفاق أهل العلم ولأجل هذا يذكر عن مالك وغيره من أهل المدينة أنهم لم يكونوا يحتجون بعامة أحاديث أهل العراق ؛وبعد ذلك نبه ابن تيمية ان هذا الحكم المذكور ليس علي العموم بل يستثني من هذا مرويات علماء مدرسة الكوفة واصحاب عبد الله بن مسعود وتلاميذهم بل يفضلهم علي سائر الأمصار فقال أما علماء أهل الحديث كشعبة ويحيى بن سعيد وأصحاب الصحيح والسنن فكانوا يميزون بين الثقات الحفاظ وغيرهم فيعلمون من بالكوفة والبصرة من الثقات اللذين لا ريب فيهم. وأن فيهم من هو أفضل من كثير من أهل الحجاز ولا يستريب عالم في مثل أصحاب عبد الله بن مسعود كعلقمة والأسود وعبيدة السلماني والحارث التيمي وشريح القاضي ثم مثل إبراهيم النخعي والحكم بن عتيبة وأمثالهم من أوثق الناس وأحفظهم فهذا صار علماء أهل الإسلام متفقين على الإحتجاج بما صححه أهل العلم بالحديث من أيّ مصر كان وقال: روى مالك عن أيوب السختياني وهو عراقي فقيل له في ذلك فقال: ما حدثكم عن أحد إلا وأيوب أفضل منه أو نحو هذا([94])

(4)كان الحديث في العراق قليلا إذا قيس إلى ما لدى أهل الحجاز، موطن الرسول صلى الله عليه وسلم وكبار الصحابة؛ فإن عدد الصحابة الذين وفدوا على العراق كان قليلا بالنسبة إلى الصحابة الذي ظلوا في الحجاز([95])

المطلب الخامس فيميزات مدرسة العراق

مميزات مدرسة العراق

(1) كثرة تفريعهم الفروع لكثرة ما يعرض لهم من الحوادث، نظرًا لتحضرهم وقد ساقهم هذا إلى فرض المسائل قبل أن تقع؛ فأكثروا من " أرأيت لو كان كذا"؟ فيسألون عن المسألة ويبدون فيها حكما، ثم يفرعونها بقولهم: " أرأيت لو كان كذا"؟ ويقلبونها على سائر وجوهها، الممكنة وغير الممكنة أحيانا، حتى سماهم أهل الحديث "الأرأيتيون" وتميز متعصبهم بالفقه الافتراضي بين سائر مذاهب الفقهية

قدم على مالك بن أنس أسد بن الفرات، قال أسد: وكان أصحاب مالك يهابونه في السؤال؛ فكنت أسأله عن المسألة؛ فإذا أجاب يقولون: قل له فإن كان كذا؟ فأقول له؛ فضاق على يوما، فقال: هذه سليسلة بنت سليسلة، إن أردت هذا فعليك بالعراق.

وأخرج مالك في الموطأ عن ربيعة: سألت سعيد بن المسيب: كم في أصبع المرأة؟ قال: عشرة من الإبل، قلت: ففي أصبعين؟ قال: عشرون، قلت: ففي ثلاث؟ قال: ثلاثون. قلت: ففي أربع؟ قال: عشرون، قلت: حين عظم جرحها واشتدت مصيبتها نقص عقله؟ فقال له سعيد: أعراقي أنت؟ فقال ربيعة: بل عالم مستثبت, أو جاهل متعلم، فقال سعيد: هي السنة فعلم من هذين المثالين ان كثرة التفريعات في المسائل والقواعد والسوال عن الفقه الإفتراضي هذه ميزة من مميزات مدرسة اهل العراق

(2)قلة روايتهم للحديث، واشتراطهم فيه شروطا لا يسلم معها إلا القليل، وانتهاجهم نهج عمر بن الخطاب وعبد الله بن مسعود فيما روي عنهما من التثبت في الرواية وعدم الإكثار في التحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكانوا يتهيبون من الرواية عن الرسول صلى الله عليه وسلم ولا يتهيبون من الرأي.

[93] تاريخ التشريع للمناع/290/291
[94] مجموع الفتاوي لإبن تمية/20
[95] تاريخ التشريع للمناع/290

ISSN Online: 2709-7625
ISSN Print: 2709-7617
Vol.6 No.4, 2023

(3)ان طريقة فقهاء العراق كانت ابقي وانفع بكثير من طريقة فقهاء الحجاز من حيث ان الحوادث والواقعات غير متناهية والنصوص الشرعية التي توخذ منها الاحكام متناهية فكان لابد من استعمال الرأي واعمال العقل حيث لانص وتطبيق المسائل علي القواعد والجزئيات علي الكليات علي نطاق واسع لكي يتمكن االفقه الإسلامي من مسايرة الزمن والإستجابة لحاجات الأمم المتجددة ويتحمل من اعطاء الحكم في اي عصر مالكل االستفتاء والفرض يمكن وقوعه

(4)كان لها فضل في تكوين الفقه وتوسع افاقه بما بحثت وقعدت من قواعد فكونوا الفقه وخرجوا عليه احكام الحوادث التي حدثت لهم وطرقوا الكثير من ابواب الفقه العبادات والمعاملات والنكاح والطلاق والعتاق وماعد اذلك فتجمعت لهم مسائل فقهية في كل باب

(5)وكذلك لمدرسة العراق لها السبق في اظهار علم اصول الفقه وبيان القواعد لاصول الفقه المستخرجة من النصوص الشرعية وعلل الضابطة التي شرعت الأحكام لاجلها

(6)ومن مميزات هذه المدرسة انه قام مذهبها علي الشوري في الرأي بين الشيخ والتلاميذ تلقته جماعة عن الجماعة الي الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين بخلاف سائر المذاهب الفقهية فلإنها مجموعة آراء لأئمتها

ألمطلب السادس فيمظاهر الإتفاق والإختلاف بين المدرستين:

مظاهر الإتفاق والإختلاف بين المدرستين

ان الإختلاف بين مدرستي الحجاز والعراق لم يكن مرده الي استعمال اهل المدينة للحديث واهمال اهل العراق له او استعمال الرأي عند العراق وترسه عند الحجاز فاللجوء الي الرأي واستخدله كان موجود الدي الجميع وان تفاوتت درجة الأخذ به بين القلة والكثرة والنصوص والآثار ياخذ به اهل العراق كما ياخذ علماء الحجاز

يقول الشيخ ابوزهرة" لانستطيع ان نقرر ان فقه العراق جملة فقه الراي وفقه الحجاز جملة فقه الأثر فان الأثر كان مشهورا في العراق واراي كان ماخوذ ابه في المدينة وسائر مدن الحجاز ولكن الراي عند اهل العراق كان اكثر من الراي عند اهل المدينة لكثرة الثار عند المدنيين وقلتها عند العراقيين

فلم يكن الإختلاف في الواقع بين المدرستين اختلافا في مصادر التشريع بقدر ماكان اختلافا في التلقي وتنوعا في الأساتذة وتباينا في البيئة والعرف ففقهاء المدينة تأثروا باستاذهم عبد الله ابن عمر وهو معروف بكارهيته للرأي وفقهاء الكوفة تاثروا بعبد الله ابن مسعود ومن سلك منهجه (سيدنا عمر بن الخطاب) وكان معروفا بالميل الي الراي وجرأته في الإفتاء حيث لانص والحياة في المدينة سهلة والحوادث قليلة لما ان اهل المدينة قد حفظوا كثير من التقاليد الإسلامية التي كانت شائعة في عهد سيدنا مصطفي صلي الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين ولم يتاثروا باعراف اجنبية فالحوادث والنوازل التي تقع في عهد التابعين لايختلف عماكان يقع في عصر الصحابة والآثار لدي فقهاء مدرستها كثيرة فلم تكن هناك حاجة للراي الابقدر قليل بخلاف حياة اهل الكوفة كانت معقدة لان العراق بلد ذو حضارة قديمة وعادات وتقاليد مختلفة وتيارات فكرية متصارعة واختلاط الأقوام من اجناس شتي ولكل فيها ثقافته وعرفه ومن شان هذا كله ان تمثر الوقع وتتنوع الحوادث والمشكلات الجزية مما يحمل الفقيه علي الإكثار من الراي واستنباط الحكام من النصوص

فبعد دراسة العلمية لمدرسة الكوفة والمدينة والمعرفة لأهم الملامح والميزات لكلتيهما يحصل العلم بانهما غير متقابلين وان اوجه الإتفاق بينهما اكثر من اوجه الإختلاف وذلك فيما ياتي

(1)ان كلتا المدرستين تتعمد ان علي القران والحديث في تعرف الحكم

(2)وان كلا منهما كانت عندها حصيلة متقاربة في الحديث سواء في الشيوخ اوفي العدد وساعد علي هذا التقارب الرحلات العلمية والقاآت المستمرة

(3)واذا كان قوام مدرسة الحجاز واساسها هو مرويات عمر وابنها وسيدة عائشة وزيد بن ثابت فان علماء العراق من التابعين كانوا حريصين علي الإستفادة من هولائ الصحابة فعلماء مدرسة العراق امثال علقمة بن قيس واسود بن يزيد وسروق والإمام الشعبي كما تقدم قد رحلوا الي مدرسة الحجاز وتلقوا من عمر بن خطاب وعلي ابن ابي طالب وسيدة عائشة وابن عمر رضي الله عنهم اجمعين وغيرهم .يقول ابن القيم عن تابعي الكوفة واكثرهم اخذوا عن عمر وعلي وعائشة

(4)ان كلتا المدرستين قد استعملتا الحديث واستعانتا بالراي علي حد سواء وان كان يوجد في هاتين المدرستين من يهابون القتيا وواستخدام الراي واخرون جريئون علي اعمال العقل والقياس

ISSN Online: 2709-7625
ISSN Print: 2709-7617
Vol.6 No.4, 2023

يقول صاحب الفكر السامي" على التحقيق الذي لا شك فيه أنه ما من إمام منهم إلّا وقد قال بالرأي, وما من إمام منهم إلّا وقد تبع الأثر, إلّا أن الخلاف وإن كان ظاهره في المبدأ, لكن في التحقيق إنما هو في بعض الجزئيات، يثبت فيها الأثر عند الحجازيين دون العراقيين, فيأخذ به الأولون ويتركه الآخرون لعدم اطلاعهم عليه, أو وجود قادح عندهم.

(5)وماكان الراي الذي تستخدمه مدرسة الكوفة ومدرسة المدينة محدودا بصورة معينة او بحدود ثابتة فهو احيانا سنة واحيانا مصلحة مرسلة او قياس او عرف او غير ذلك يقول الشيخ محمد ابوزهرة "لم يكن الرأي مقصورا علي اهل العراق بل كان في المدينة ايضا والفرق بين اهل الراي عند اهل المدينة واهل العراق ان هولاء يبنون الراي علي القياس واما اولئك فكان اغلب الراي عندهم التخريج علي الماثور من اقضية الصحابة وفتاويهم

الخاتمة

من أهم النتائج التي توصّل إليها البحث

1_ المقصود بمدرستي أهل الحديث وأهل الرأي: هي تلك الطرق اوالإتجاهات التي سلكها فقهاء الحديث والرأي واختاروا هالإستنباط الأحكام معتمدين علي السنة اوالرأي قلة وكثرة لا المقصود منها الأماكن التي يتدارس فيها العلوم المختلفة

2_ كانت مدرسة المدينة في عصر الصحابة والتابعين وتابعيهم المركز الرئيسي والمحور الحقيقي للحركات العلمية وإنتشار الشريعة الإسلامية واصبحت مهد السنة، ماوي الفقهاء، ملتقي الصحابة ومجمع العلماء لكثير رحلات طلاب العلم وفقهاء الشريعة بعد إنتقال الرسول صلي الله عليه وسلم فكانالناس يرحلون من سائر البلاد الإسلامية الي مدرسة المدينة لطلب العلم فيها

3_ استقت مدرسة المدينة منهجها من شيوخها الأوائل الذين في مقدمتهم زيد بن ثابت وعبد الله بن عمر الذين يقفون عند النصوص والاثار ولايستخدمون الرأي إلا في حالة الإضطرار وتأثر بهذا المنهج تلاميذهم من التابعين وعلي رأسهم سعيد ابن المسيب وتنتهي رياسة المدرسة الي الإمام مالك الذي لقب بامام دار الهجرة وكانت حلقته اشهر الحلقات واليه يحج العلماء والطلاب من سائر البلاد الإسلامية

4_ كان لمدرسة المدينة اكبر الأثر وعظيم الفضل في جمع السنة وحفظها وفي تدوين الحديث وتاسيس علم اصوله ورسم خطوطه ونسج خيوطه ووضع شرطه وتحديد قواعد فالله سبحانه وتعالي خص وقيض لحفاظة كلام حبيبه وبقاء سيرته وشريعته صلي الله عليه وسلم رجال وجهابذة الأعلام التي لا نظير لها مدي الأعصار ولا قبلها أمثال الإمام البخري ومسلم الي امام مالك الذي قال عنه الشافعي مالك حجة الله علي الأرض الي ان ينتهي هذه السلسة المبارسة الي الصحابة ابن عمر وسيدة عائشة تلاميذ حبيب المصطفي صلي الله عليه وسلم

5_ مدرسة العراق كان امامها ومؤسسها هو عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه وهو كان من حزب عمر في الرأي فقد اختار منهجه في الأخذ بالرأي والتوسع في الإستنباط والإجتهاد حيث لا نص

وتأثر بهذا المنهج تلاميذهم من التابعين وعلي مقدمتهم علقمة بن قيس وإبراهيم النخعي وتنتهي زعامتها إلى الإمام ابي حنيفة فقيه الأمة

6_ ان طريقة فقهاء العراق كانت ابقي وانفع بكثير من طريقة فقهاء الحجاز من حيث ان الحوادث والواقعات غير متناهية والنصوص الشرعية التي تؤخذ منها الاحكام متناهية فكان لابد من استعمال الرأي واعمال العقل حيث لا نص وتطبيق المسائل علي القواعد والجزئيات علي الكليات علي نطاق واسع لكي يتمكن االفقه الإسلامي منمسايرة الزمن والإستجابة لحاجات الأمم المتجددة ويتحمل من اعطاء الحكم في اي عصر مالكل االستفتاء والفرض يمكن وقوعه

7_ ان الإختلاف بين مدرستي الحجاز والعراق لم يكن مرده الي استعمال اهل المدينة للحديث واهمال اهل العراق له او استعمال الرأي عند العراق وتركه عند الحجاز فاللجوء الي الرأي واستخدامه كان موجودا لدي الجميع وان تفاوتت درجة الأخذ به بين القلة والكثرة والنصوص والآثار ياخذ به اهل العراق كما ياخذ علماء الحجاز فبعد دراسة العلمية لمدرسة الكوفة والمدينة والمعرفة لأهم الملامح والميزات لكلتيهما يحصل العلم بانهما غير متقابلين وان اوجه الإتفاق بينهما اكثر من اوجه الإختلاف وذلك فيما ياتي

(1)ان كلتا المدرستين تتعمدان علي القران والحديث في تعرف الحكم

ISSN Online: 2709-7625
ISSN Print: 2709-7617
Vol.6 No.4, 2023

(2)وان کلا منھما کانت عندھا حصیلۃ متقاربۃ فی الحدیث سواء فی الشیوخ او فی العدد وساعد علی ھذا التقارب الرحلات العلمیۃ والقاآت المستمرۃ

والحمد للہ رب العالمین

المصادر والمراجع

1 إعلام الموقعين عن رب العالمين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن القيم الجوزية (المتوفى: 751ھ-) تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، الطبعة: الأولى، 1411ھ-1991م.

2 مجموع الفتاوى المؤلف: شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: 728ھ-) المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم الطبعة: الأولى، 1410ھ-1990م.

3شرح نخبة الفكر فيمصطلح أھل الأثر، المؤلف: علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الھروي القاري (المتوفى: 1014ھ-)

المحقق: قدم له: الشيخ عبد الفتاح أبو غدة، حققھو علق عليه: محمد نزار تميم وھيثم نزار تميم، الناشر: دار الأرقم - لبنان / بيروت

4لسان العرب، المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى المصرى (المتوفى: 711ھ-) الناشر: دار صادر - بيروت

الطبعة: الثالثة - 1414ھ-

5الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: 671ھ-)

تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش الناشر: دار الكتب المصرية - القاھرة

الطبعة: الثانية، 1384ھ-1964م

6ترتيب المدارك وتقريب المسالك، المؤلف: أبو الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي (المتوفى: 544ھ-) المحقق: جزء 1: ابن تاويت الطنجي، 1965م

جزء 2، 3، 4: عبد القادر الصحراوي، 1966-1970م

جزء 5: محمد بن شريفة، جزء 6، 7، 8: سعيد أحمد أعراب 1981-1983م

الناشر: مطبعة فضالة - المحمدية، المغرب الطبعة: الأولى

7 وفيات الأعيان لابن خلكان / وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، المؤلف: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (المتوفى: 681ھ-)، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر - بيروت

8عمدة القاري شرح صحيح البخاري، المؤلف: أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى (المتوفى: 855ھ-)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت

9 الطبقات لابن سعد / المؤلف أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الھاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (المتوفى: 230ھ-) تحقيق: محمد عبد القادر عطا الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى، 1410ھ-1990م 10طبقات الفقھاء، المؤلف: أبو اسحاق إبراھيم بن علي الشيرازي (المتوفى: 476ھ-) ھذبه: محمد بن مكرم بن منظور (المتوفى: 711ھ-) المحقق: إحسان عباس الناشر: دار الرائد العربي، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى،

11 مقاييس اللغة / المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: 395ھ-) المحقق: عبد السلام محمد ھارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: 1399ھ-1979م1970

12 معجم الوسيط / المؤلف: مجمع اللغة العربية بالقاھرة (إبراھيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار) الناشر: دار الدعوة

13 تذكرة الحفاظ للذھبي، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذھبي (المتوفى: 748ھ-) الناشر: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان الطبعة: الأولى، 1419ھ-1998م

14 الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي محمد بن الحسن بن العربي بن محمد الحجوي الثعالبي الجعفري الفاسي (المتوفى: 1376ھ-) الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان الطبعة: الأولى -1416ھ-1995م

ISSN Online: 2709-7625
ISSN Print: 2709-7617
Vol.6 No.4, 2023

15 الإنصاففيبيانأسبابالاختلافأحمدبنعبدالرحيمبنالشهيدوجيهالدينبنمنصورالمعروف- «الشاهوليالله الدهلوي» (المتوفى: 1176هـ)المحقق: عبد الفتاحأبوغدةالناشر: دارالنفائس–بيروت، الطبعة: الثانية،

16 سبعمسائلفيعلمالخلاف ،المؤلف: أبو مجاهد عبد العزيز بنعبد الفتاحبنعبد الرحيمبنالملاّ محمد عظيمالقارئالمدني ،الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة الطبعة: السنة السادسة- العدد الثاني- رجب 1393هـ- أغسطس 1973م

17 أُصول الفِقهِ الذي لا يَسَعُ الفَقيهِ جَهلَهُ، المؤلف: عياض بن نامي بن عوض السلمي الناشر: دار التدمرية، الرياض- المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1426هـ- 2005م

18 الإتجاهات الفقهية عند اصحاب الحديث في القرن الثالث، عبد المجيد محمد وعبد المجيد، الناشر مكتبة الخانجي: 1399هـ_1979

19 مدارس مصر الفقهية في القرن الثالث الهجري، الدكتور محمد نبيل غنائم الناشر دار الهداية، الطبعة الثانية 1432_2011م

20 مقدمة في دراسة الفقه الإسلامي / الدكتور محمد الدسوقي، دار الثقافة الطبعة 1999م

21 المدخل لدراسة الفقه الإسلامي للشرنباصي، رمضان علي سيد الشرنباصي الطبعة الثانية 1403 المطبعة الإصالة

22 المدخل للفقه الإسلامي مدكور، محمد سلام مدكور، الكويت دار الكتاب الحديث

23 الفقه الإسلامي مرونته وتطوره، الشيخ جاد الحق علي جاد الحق شيخ الازهر. ، تصدرها الأمانة العامة للجنة العليا لدعوة الإسلامية بالأزهر الشريف تاريخ الإصدار 2004م

24 المدخل إلي الشريعة والفقه الإسلامي، د. سليمان الاشقر، الناشر دار النفائس، الطبعة الولى 2005م

25 الشريعة والتشريع، فاطمة سيد علي سباك، الناشر رابطة العالم الإسلامي، تاريخ النشر 1417 من الهجرة

26 تارخ التشريع الإسلامي، مناع القطان، مكتبة المعارف تاريخ الإصدار الطبعة الثانية: 1996م

27 تاريخ التشريع الإسلامي، محمد علي السايس / دار الكتب العلمية بيروت

28 فقه اهل العراق وحديثهم، محمد زاهد الكوثري تحقيق محمد سالم ابو عاصي، الطبعة الاولى 2009م دار البصائر

29 محاضرات في تاريخ المذاهب الفقهية، شيخ محمد ابو زهرة مطبعة المدني